الفكر التربوي عند

ابن جماعة

دراسة وتحليل

الدكتور عبد الامير ز. شمس الدين

الشركة العالمية للكتاب ش م ل
مكتبة المدرسة - دار الكتاب العالمي

الفكر التربوي عند

ابن جماعة

القسم التربوي

الشركة العالمية للكتاب

د. عبد الأمير شمس الدين

دكتوراه دولة في فلسفة التربية
أستاذ في الجامعة اللبنانية

عبد الحميد فايد

أستاذ التربية وأصول التدريس
في جامعة بيروت العربية

الشركة العالمية للكتاب ش.م.ل.

طباعة - نشر - توزيع

مكتبة المدرسة

دار الكتاب العالمي

الدار الافريقية العربية

الادارة العامة

الصنائع - مقابل الاذاعة اللبنانية
هاتف ٣٤٩٠٥٥-٣٤٩٣٧٠ - ص.ب ٣١٧٦
تلكس LE ٢٢٨٦٥ - برقياً: كتالبنان

بيروت - لبنان

المستودعات

هاتف ٣٥١٤٣٣

الطبعة الأولى ١٩٩٠

رموز ومختصرات

ج: جزء.

د. ت: دون تاريخ.

را: راجع.

ص: صفحة.

صص: من صفحة كذا الى صفحة كذا، صفحات عديدة.

ط: طبعة.

قا: للمقارنة، قارن.

مج: مجلد.

تقديم

كان من المقرر أن يُقَدَّمَ هذا العملُ إلى المطبعة منذ مدة جعلتها الأحداث المأساوية في لبنان طويلة مُثْقلَة. إنَّ «تذكرة السامع والمتكلم...» لابن جماعة نتاج حَسَنُ الجودة في التنظيم والتبويب والصياغات. وهو ثمرةٌ يانعة من الثمار التربوية التي بزغت بعد عطاء الغزالي التوليفي التركيبي.

ويعتبر ابن جماعة من بين الفقهاء التربويين الذين قدموا أفكارهم في نَسق، وبشكلٍ عامٍ موحَّدٍ وكلّي تتآلف فيه العناصر وتتضامن لتعطي التربية تعريفاً واضحاً وأهدافاً أو مقاصد تنصبُّ على بناء الانسان السليم، في الأمة القوية، والمجتمع المعافى.

إن «تذكرة السامع والمتكلم» تأخذ اليوم تحليلاً وافياً ونظنه مستنفداً، ثم اننا حاولنا الجهد لوضع المؤلِّف ابن جماعة داخل شبكة المفكّرين التربويين في تراثنا. وهكذا فإن المؤلِّف والمؤلَّف هما، في عملنا هذا، معروضان في دراسة جديدة وفي صياغة جديدة. لقد سبق أن طُبع كتاب ابن جماعة، لكن طبعتنا هذه، كما سنرى، تقوم على مخطوطات اكثر، وعلى ترتيب أفضل، وعلى عرضٍ أوضح وتسهيلات عديدة اخرى. اما الدراسات عن «تذكرة السامع» فتبقى موزعة هنا وهناك، ونُتَفاً على شكل مقالات سريعة لا تكفي ولا تضع ابن جماعة ضمن الفكر التربوي الاسلامي العام.

لعلنا وُفقنا. وإن لم يكن نجاحُنا كبيراً فإنه يبقى مع كل الوعي لمشوبات أو نقائصه، كافياً ليقدِّم للباحث والطالب والقارىء كلاماً كليّاً ونظرة شاملة ومحلَّلة عن ابن جماعة.

ع. أ. شمس الدين

القسم الأول

التحليل

المذهب التربوي

عند بدر الدين ابن جماعة

تحليل «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم»

تمهيد عام

١ ـ التربية الفقهية بعد الغزالي وحتى القرن العاشر (السادس عشر للميلاد):

طغى الغزالي على المفكرين الذين أتوا بعده في مجالات شتى، خاصة في مضمار التأديب والتعليم والتربويات. وبعبارة أخرى فإن الذين كتبوا في «رياضة الصبيان» بعد الإمام ابي حامد تغذوا من مائدته؛ بل كرروه دون أن يقدموا مبادىء تربوية جديدة. فقد اكتفوا بتوضيح أفكاره وتوسيعها؛ انهم وَسَّعوا ما قاله الغزالي، لاجئين في ذلك إلى زيادة تقميش الأحاديث والقصص، أو إلى إدخال تطويرات طفيفة نجحت بفعل تطور بعض الوسائل والأدوات في التعليم.

٢ ـ اعلام التربية الفقهية من القرن الهجري السادس حتى العاشر (العاشر الميلادي حتى السادس عشر):

أشهر الفقهاء المربين الذين وضَعوا، بعد الغزالي، رسائل مخصصة للتربية والتأديب هم بحسب التسلسل التاريخي: الزرنوجي (ت ١١٧٥/٥٧١)، الطوسي (ت ١٢٧٣/٦٧٣)، ابن جماعة (١٣٨١/٧٧٣)، السبكي (١٣٦٩/٧٧١).

ثم جاء بعد هؤلاء الاعلام زين الدين بن أحمد الشامي(١٥٥٨/٩٦٦)،

الملقب بالشهيد الثاني، والذي سبق أن خصصنا له كتاباً مستقلاً[1]. كما عاش في تلك الفترة نفسها آخرون كتبوا في المجال عينه، وإنْ كانوا اقل شهرة، وهم: البَدْرُ الغَزّي (ت ٩٨٤) والعَلْمَوي، وغيرهما.

٣ ـ ابن جماعة احد ممثلي النظرية التربوية الفقهية بعد الغزالي:

ابن جماعة هو أكبر الأسماء في لائحة أعلام التربية الفقهية اللاحقة على فترة الغزالي. سوف نحاول تحليل الآراء التربوية لذلك المفكر، وأحكامه في فضل العلم، ووصاياه في آداب المعلم والمتعلم كنموذج للفقهاء التربويين ما بعد الغزالي. وذلك كله في نَسَق محكم البنيان، مترابط الأجزاء.

(القرن الثامن للهجرة) ابن جماعة هو إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد الكناني. برهان الدين، أبو إسحاق حموي الأصل، شافعي. هو مفسر وخطيب، ومن كبار شيوخ عصره. نشأ في دمشق، وسكن القدس، ووليّ قضاء الديار المصرية مراراً. ثم وليّ قضاء دمشق والخطابة بها ومشيخة الشيوخ. تنسب إليه أعمال جليلة، وخدمات كثيرة للناس[2].

---

(١) انظر: كتابنا عنه بعنوان: الفكر التربوي عند زين الدين بن أحمد.

(٢) للتفاصيل: الزركلي، مج ١، ص ٤٦ ـ ٤٧. الشذرات، ج ٦، ص ٣١١. الأنس الجليل، ج ٢، ص ٤٥٢.

في فضل العلم والعلماء أو فضل التعليم والتعلم

يقدم ابن جماعة آيات قرآنية كثيرة تؤيد مطلوبه في تبيان ما للعلم والعلماء من فضلٍ يعم المجتمع كافة. كما انه يلجأ أيضاً إلى أحاديث نبويـة وإلى أخبار وروايات يقمّشها بعناية وبإكثار؛ فهو الفقيه الشافعي (من أهل النقل) حيث كان القرآن والسنة وأخبار السلف الصالح، المعين الذي نهل منه مصادره بصدد فضل العلم والتعلُّم(١): «إن الاشتغال بالعلم لله افضل من نوافل العبادات البـدنية من صيام وصلاة وتسبيح ودعاء ونحو ذلك. لأن منـافع العلم تعمُّ صـاحبه والنـاس، ومنافع النوافل البدنية مقصورة على صاحبها». والدليل على ذلك كما يقول: «إن العلـم مصحّح للعبادات، وهي تفتقر إليه. وهو لا يتوقف عليها. ثم إن العلم يبقى اثره، وغيره يذهب مع صاحبـه...». ثم يشير ابن جماعـة إلى أن تلك الأهمية الكبرى للتعليم والتعلم والعلماء لا تطال كل العلماء ولا كل علم. ذلك أن مؤلِّفنا ينبه بقوة إلى أنَّ الفضيلة المقصودة بأهل العلم هي فقط من «حق العاملين الابرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله». ولنتذكر باستمرارٍ عظةً أو حكمة هي: إن العلم هو ما يبقى بعد موت صاحبه، ويحفظ الشريعة ويحييها.

(١)انظر، النص، فصل في فضل العلم وأهله ص، ٦٧ ـ ٧٢.

آدابُ العَالم (المعلّم)

يهتم ابن جماعة بتقسيم آداب المعلم كي يسهِّل الموضوع أو يبرز جوانبه المختلفة بطريقة واضحة. وهكذا فإنه يجعل آداب المعلِّم (العالِم) تتناول ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: آداب المعلم في نفسه.

الجانب الثاني: آدابه مع طلابه.

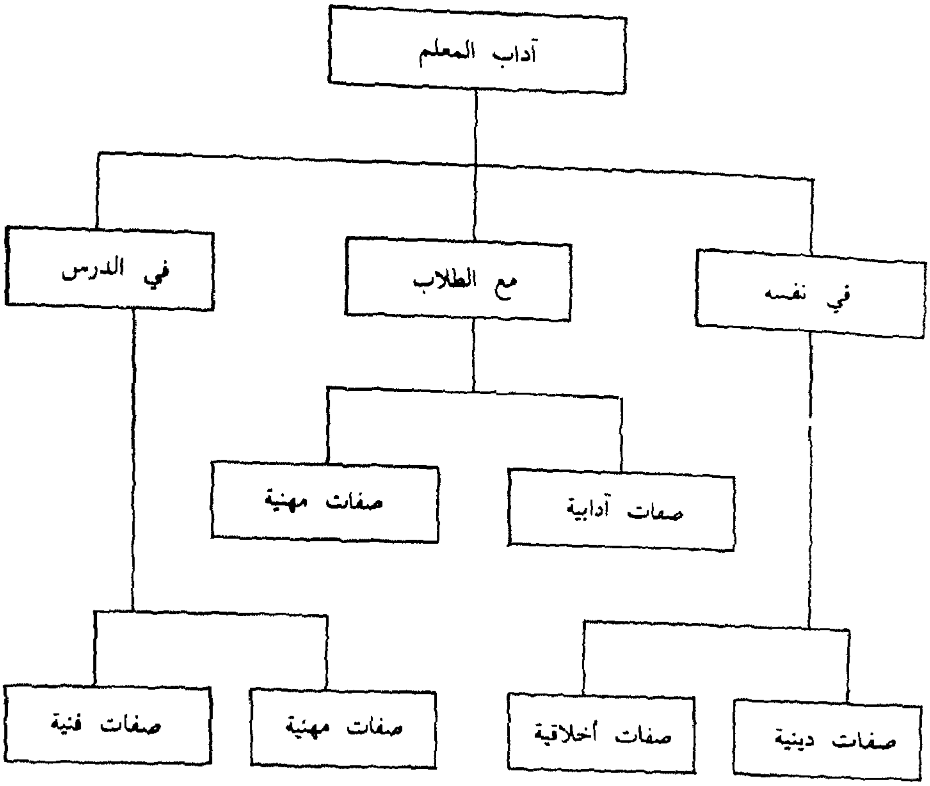
الجانب الثالث: آدابه في درسه.

١ ـ آداب المعلم في نفسه[1]:

من واجب المعلم كما رأينا وكما سنرى عند ابن جماعة، التحلي بالصفات الأخلاقية المطلوبة من رجل الدين ومن أي شخص مؤمن. وعلى ذلك فإن من شروط المعلم وآدابه سواء المتعلق منها بنفسه أو مع طلابه، أو في التدريس يمكن أن نلخصها في الرسم البياني التالي:

---

(١) المقصود بالآداب هنا، هو كما قلنا مراراً عديدة في الأجزاء السابقة من هذه السلسلة، الشروط والواجبات أو القواعد المثلى التي يجب انتهاجها لتأدية التعليم على أحسن وجه واكتساب التعلم بأفضل الأساليب وأكثرها ريعاً. مع الإشارة أن كلمة الآداب، قبل هذه الحقبة، كانت تعني «العلوم» عند الآدابيين من الكُتّاب. في هذا الصدد انظر، من موسوعتنا، الفكر التربوي عند الآدابيين.



أولاً : خصائص تتعلق بشخصية المعلم :

أ ـ خصائص أخلاقية :

من المفروض على المعلم أن يكون ذا أخلاق رفيعة. فعليه، مثلاً: التحلي بالوقار، والخشوع، والتواضع، والخضوع لله ولمراقبته في السر والعلن. ثم يجب أن لا يذهب المعلم إلى السلاطين والملوك من غير ضرورة أو حاجة[1]. فالمعلم كبير القدر، عظيم الشأن، لا يذهب إلى الحكام إلّا عند الحاجة والضرورة إعزازاً للعلم وشرفه.

ولعلّ ما يساعد المعلم على التحلّي أو اكتساب هذه الأخلاق هو الزهد بالدنيا والقناعة بالضروري منها.

---

(١) النص، ص ٧٦.

لذا فإنّ الزهدَ في الدنيا صفةٌ واجبة الوجود عند المعلم. لهذا يتوجب عليه أن يقلّل ويقتصد بقدر الإمكان من حاجياته ومطلوباته من الدنيا، وأن يأخذ ما يكفيه ويكفي عياله فقط. والخلاصة، يوصي ابن جماعة المعلمين بأن ينتبهوا دائماً إلى خسة الدنيا وزوالها وحقارتها؛ فهم أولى الناس بمعرفة ذلك. ومن هنا فعليهم التنزه عن المكاسب والمقتنيات... وأن لا يقوموا بمهن مثل الحجامة، والدباغة، والصياغة[1]. ولا ان يقوموا بأعمال توقع في الشبهة أو في التهمة وتدفع الناس إلى الظنون، كي لا يسيئوا الى العلم الذي هم حَمَلتُه وأهلُه.

ب ـ خصائص دينية:

إلى جانب الصفات الأخلاقية الرفيعة التي رأيناها، يطلب ابن جماعة من المعلم صفات دينية صرفة هي مثلاً: المحافظة على القيام بشعائر الإسلام، وعلى المندوبات الشرعية قولاً وفعلاً مثل: تلاوة القرآن. وذكر الله بالقلب واللسان، وحفظ هيبة النبي عند ذكر اسمه[2]. وعليه واجب معاملة الناس بمكارم الأخلاق، وصيانة الباطن والظاهر.

ويكثر ابن جماعة بشكلٍ ملحوظ جداً من تحميل المعلم خصائص رفيعة، وندبه للأخلاق السامية[3]. وما ذلك، بنظره، إلا لأن زلّة المعلم(العالم) كبيرة؛ ثم لكونه القدوة للناس ولطلابه، وبالتالي فلا بد من أن يتمتع **بطلاقة الوجه**، وبالقدرة على كظم الغيظ، وعلى الايثار، وعلى التلطف، والأمر بالمعروف، الخ[4].

---

(١) من المعروف جداً في التراث التربوي الإسلامي رفض المهن والأعمال اليدوية للمعلم. فالتعليم، كما رأينا عند زين الدين العاملي وكما هو هنا عند ابن جماعة، مهنة شريفة ويعم فضلها المجتمع. ومن غير اللائق بالمعلم العمل للتكسب إذْ بذلك يفقد احترامه.

(٢) النص، ص ٧٩.

(٣) واجب المعلم بالإضافة إلى ما ذكرنا أعلاه، هو الابتعاد عن الأخلاق الرديئة مثل: الحسد، البغض، الغضب، الكره، الرياء، العجب، احتقار الناس... ويلاحظ أن ابن جماعة، في هذه الوصايا والإرشادات، شديد التأثر بكتاب «الرعاية» للحارث المحاسبي.

(٤) النص، ص ٨٠.

جـ - خصائص مهنية:

يرى ابن جماعة أن الجانب المثالي في العلم لا يستطيع أن ينفي وجوب وجود خصائص معينة تؤهله للقيام بواجباته في التدريس، على رأسها عدم تنصبه لهذا المنصب الا بعد اكتمال الأهلية. وهكذا فإن على المعلم واجب المواظبة على التحصيل المستمر، والمحافظة على قراءة الأوراد قراءة وإقراءً، وعلى المطالعة والتفكر، وعلى الحفظ والتصنيف والبحث. على المعلم أن «لا يضيع شيئاً من عمره في غير ما هو بصدده من العلم الابقدرالضرورة من أكل وشرب أو نوم أو استراحة أو أداء حق زوجة أو تحصيل قوت»[1] وذلك «لأن درجة العلم هي درجة وراثة الأنبياء، ولا تُنال الا بشق الأنفُس».

إلى جانب هذه القواعد المثالية الموقع، الصعبة المرتقى، الموجهة الى المعلم، نجد ابن جماعة يطلب المزيد: فعلى العالِم نشدان الحكمة دائماً إذْ هي وحدها ضالته. وعليه واجب التعاون مع الطلاب (كتعاون الشافعي أو ابن حنبل مع طلابه) من أجل الوصول إلى الحقيقة.

ولا ننس، بالإضافة إلى كل ما سبق، ان من واجبات المعلم الاشتغال بالجمع والتصنيف والبحث في أوقات فراغه. فلا يجوز للمعلم، في نظر ابن جماعة، الكف عن النظر والتوقف عن التحصيل والإفادة والاستفادة. فالمعلم، عنده، هو الذي قد وقف نشاطه واجتهاده بل حياته كلها على العلم وطلبه وتحصيله من أي جهة يجده بها لينفع به نفسه وطلبته. إلى جانب هذه الخصائص التي تبدو مثالية وشديدة الطموح، تقوم آدابية (شروط وواجبات) أخرى. فما. هي؟.

٢ - آداب المعلم في درسه(في حلقة الدرس):

يبدأ التحضير لها قبل خروجه من البيت للدرس، وتنتهي عندما ينفضّ الدرس أو عند ذهاب الطلاب.

ولا يسمح ابن جماعة للمعلم بالدخول إلى حلقة التدريس إذا لم يكن مهيّئاً

(١) النص، ص ٨٣.

نفسه تهيئة تامة. ابتداء بالظاهر وانتهاء بالباطن.

أ- التهيؤ للدرس:

يكون هذا بالاعتناء بالمظهر العام من تطهّر وتطيّب وتزيّن. وهنا يذكّر ابن جماعة بطريقة الإمام مالك عندما كان يجلس للدرس[1].

والمعلم، قبل خروجه من البيت، عليه واجب تلاوة الأدعية. وهناك قيود مفروضة عليه من حيث طريقة الجلوس، واستقبال القبلة، واظهار الوقار والسكينة، والخشوع وعدم المزاح. كما أن حركاته تكون موزونة، وتكون يداه مشبكتَين.

وعند دخول الحلقة لا بد للمعلم من أن يقرأ بعض الأدعية وآيات من القرآن للحاضرين؛ ويفعل الأمر عينه اثر الانتهاء من الدرس؛ مشيراً من ثمة إلى انتهاء الدرس.

ب - قواعد تدريسية:

على المعلم أن يتدرج في تعليم المواد، مقدماً الأشرف من الدروس، ويرسمها على النحو التالي: القرآن، ثم الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الخلاف، ثم النحو والجدل.

وعلى المعلم أن يجيب فوراً عندما يسأل: وهذا دون تطويل لدرجة الملل ودون التقصير لدرجة عدم الفهم. أما الصوت، فعلى المدرس الانتباه إلى رفع صوته وخفضه بحسب الجلسة وبحيث يُسمع الحضور كافة[2] ومن الضروري المحافظة على هيبة المجلس، وزجر من أساء الادب، والاستعانة بشخص فطن هو النقيب أي الوكيل أو العريف الذي يجب أن تتوفر عنده بعض الشروط التي لا بدمنها حيث هو نائب المعلم، اذ يجب أن يكون: كيّساً، مدرباً، يقوم بترتيب الحاضرين وإرشاد من

---

(١) النص، ص ٨٧.

(٢) النص، ص ٩١.

يدخل عليهم بقدر منازلهم، كما يتفقد الطلاب ويقدم النصيحة والمساعدة لمن يحتاجها .

كما يوصي كاتبنا المعلم بمبادىء اساسية اخرى نذكرها هنا دون وصفٍ مسهبٍ أو تفصيل :

أ ـ مبدأ مراعاةِ الطلاب الجدد (المستجدّين) والغرباء . ينبغي على المعلم البشاشة لهم، وحسن استقبالهم، ومعاونتهم ما لزم وما أمكن .

ب ـ مراعاة المصلحة العامة في التوقيت بحيث تكون حلقات الدرس متناسبة مع الأوقات التي لا تتعارض مع العمل .

جـ ـ اختتام الدرس بترديد بعض العبارات المعيّنة مثل : «والله أعلم» أو بيت من الشعر أو دعاء إشارة إلى انتهاء الدرس .

د ـ عدم الخروج فوراً من الحلقة ، إذ يفضل المكوث قليلاً بعد انتهاء الدرس لأن فيه فوائد : لتلافي التزاحم مع الطلاب منْ ناحية ، أو لعلّ حاجة عند احدهم يقضيها له بعد خروج زملائه من ناحية أخرى . يضاف إلى ذلك ما لهذه القاعدة من فوائد أخرى عديدة(٢) .

٣ ـ المنهجية التربوية والتعليمية . آداب المعلم مع طلبته (مبادىء وقواعد التدريس) :

هنا يورد ابن جماعة، بشكل مفصل وبتقسيمٍ متسلسل ومنطقي ، نصائح أو قواعد تنظّم علاقات المعلم مع طلبته اثناء الدرس . ونكتفي هنا بالإشارة الوصفية إلى تلك المبادىء التي يقدمها كاتبنا على أنها أساسية وأولية وشاملة :

---

(١) نذكّر هنا أن «النقيب» هذا أو الأستاذ المعيد «اكتشاف» تربوي إسلامي ، انظر ، نفس الموسوعة السمعاني .

(٢) النص ، ص ٩٤ . انظر الرسم البياني ، الخاص بآداب المعلم ص، ١٨ .

فمن تلك المبادىء المثالية والعملية معاً (وهي ١٤ بنداً) نقدم باقتضاب ما يلي:

ـ أن يكون القصدُ وجه الله، ونشرُ العلم وإحياء الشرع.

ـ ليس من الضروري أن يتوفر حسنُ النية عند الطالب، أي لا يمتنع من تعليم الطالب لعدم خلوص النية. فهنا واجب المعلم أن يدرِّب الطالب ويُدرِّجه على تحسين النية شيئاً فشيئاً.

ـ الترغيب في العلم وحمله، واقناع الطالب بأن طلب الكفاية من الدنيا والأعراض عنها أمر ضروري لتحصيل العلم.

ـ احترامُ شخصية الطالب عندما يخطىء أو ينسى عمله عموماً، لأن المعلم نفسه معرض للخطأ فكيف الحال إذن بالطالب؟.

ـ التسهيل على الطالب المجِدّ، أو حسن تأديب الطالب المتفوق. ومن جهة اخرى يجب أن لا يلقي المعلم للطالب «ما لم يتأهل له، لأن ذلك يبدّد ذهنه ويفرق فهمه»[1].

ـ التفهيم على قدر ذهن الطالب، وهذا يعني ضرورة «أن يحرص على تعليمه وتفهيمه ببذل جهده وتقريب المعنى له من غير إكثار لا يحمله ذهنه، أو بسط لا يضبطه حفظه»[2] هنا تُقَدَّمُ الأمثلة والأدلة، ويتنبه المعلم إلى **فضيلة التوسط** في التفهيم والشرح، أي دون ايجاز مخل ودون اسهاب ممل، لِتَعمَّ الفائدة وتشمل الجميع.

ـ تشجيع المصيب والثناء عليه، والتعنيف للمقصّر. يطبق المعلم هذا المبدأ

---

(١) النص، ص ١٠٠. وهذا نقل للمبدأ القائل بأن الفضيلة توسط من ميدان الأخلاق إلى مجال التربية.

(٢) عينه، ص ١٠٠. وهذه قاعدة تربوية مترسخة تماماً في التراث التربوي الفقهي؛ راجع أجزاء أخرى من هذه الموسوعة: (زين الدين بن أحمد، منية المريد وآداب المفيد والمستفيد).

التربوي. مبدأ الثواب والعقاب، لاعطاء أهمية للمذاكرة ولإعادةِ المحفوظات، وضبط ما سبق أن تعلمه الطلاب.

ـ توصيةُ الطالب بالرفق بنفسه حتى لا يدخل عليها الضجر، فهناك الحد الوسط الذي يناسب طاقة الطالب.

ـ إن «نقل الطالب الى ما يدل نقله اليه على جودة ذهنه، يزيد انبساطه. وإلى ما يدل على قصوره، يقلل نشاطه».

ـ عدم تشغيل الطالب في فنَّين أو أكثر في آن.

ـ ضرورةُ تركِ الفن الذي لم يفلح الولد فيه ونقله إلى ما يمكن فلاحه فيه.

ـ معاملة الطلاب بالتساوي. لكن ابن جماعة، وكما سبق اعلاه، نبهنا إلى مبدأ تربوي مهم هو واجب الاعتناء الخاص بالمتفوقين والمجتهدين. ولكن بشرط أن يبين المعلم لطلابه أسباب تقريبه وتفضيله للمتفوقين.

ـ ومن مبادىء التأديب والعقوبات التي يقبلها ابن جماعة في حال سوء الأدب، هناك: التعريض بالنهي: النهي سراً، والنهي جهراً. أو تغليظ القول اذا اقتضى الحال، وذلك كي ينزجر المسيء نفسه ومن يسمع أو يفكر بالاساءة. ولا ينسى ابن جماعة أن العقوبة القصوى هي الطرد والإعراض. وبكلمة مختصرة، على المعلم واجب التدرج بالعقوبة بما يتناسب مع المخالفة من ناحية، ومع صاحبها من ناحية أخرى.

ـ مساعدة الطلاب مادياً أو معنوياً اذا اقتدر المعلم ومتى اقتدر[1] وتفقدهم إذا اقتضى الأمر في منازلهم.

ـ التواضع مع الطلاب. فعلى المعلم أن يخاطبهم بكنيتهم أو بأسمائهم وبما يفرح قلوبهم. بل وعليه أن «يسألهم عن أحوالهم وأحوال من يتعلق بهم»[2].

(١) النص، ص ١٠٥.

(٢) النص، ص ١٠٧. شدد المفكرون التربويون المسلمون على إقامة تلك العلائق الودية بين المعلم وطلابه. ولكن التشديد على العلاقة بين الجانبين كالمحبة والاحترام وغيرهما لم يمنع التنبه إلى ضرورة العقوبات التي يكون الطرد والإعراض أقصى حالاتها.

آدابُ المتعَلم

لا بد من الاشارة هنا إلى من هو الطالب أو المتعلم الذي يعنيه ابن جماعة؟ باختصار، هو الطالب في الحلقات الدراسية، وقد يكون الذي تجاوز مرحلة تعليم «الصبي» في الكتاتيب. الطالب هو الذي بلغ درجةً من الرشد والوعي حيث قرر بذاته وارادته اختيار طريق العلم والسعي اليه. وهذا كله بالإضافة إلى الوعي بكل ما يترتب على ذلك التوجه من مستلزمات جسدية، وفكرية، وحياتية وأخلاقية. . .

وبناء على ذلك سوف نجد أن ما يطلبه ابن جماعة من المتعلم، يتجاوز مرحلة «الطفولة» في الكتّاب والكتاتيب لما تتطلبه هذه المرحلة من عزم وتصميم وإرادة من المتعلم (١)

لا بد إذَنْ في مثل هذه الحال من توفر بعض الشروط، القاسية عموماً، في المتعلم كي يستطيع الاكتساب أو لتستطيع العملية التربوية بلوغ أهدافها. من تلك الشروط ما هو متعلق بالظروف الخارجية أي بشروط موضوعية. وهناك أيضاً شروط اخرى وعوامل متعلقة بذاتية المتعلم أي بنفسيته وقدراته واستعداداته وميوله المختلفة أي بشروط ذاتية.

---

(١) هكذا هو شأن المربين مع المتعلمين. كانوا يقسمون مراحل المتعلم إلى: مرحلة التأديب للأطفال (الصبيان)، تليها مرحلة التعلم والتعليم (طَلَبَةُ العلم).

وتتناسب قسوة تلك الشروط وصعوبتها طرداً مع مرحلة التعلم التي بلغها الطالب أو التي يبغيها. كَطلب العلوم الدينية: الفقه والحديث والعلوم القرآنية. وفي جميع الأحوال فإن المطلوب من المتعلم وخاصة من بلغ مرحلة متقدمة من العلم ثلاثة أنواع من الآداب والشروط(١) هي:

١ - آدابه في نفسه:

٢ -آدابه في درسه.

٣ -آدابه مع استاذه«وشيخه».

١ -آدابه في نفسه:

كما هو الحال في المعلم، لا بد أن تتوفر عند المتعلم شروط ذاتية نابعة من نفسه ومدفوعة برغبته وإرادته. وهذا خاصة عند طالب العلم الذي هو مهيأ لينال المرتبة التي خص الله بها العلماء من فضل وشرف. وهذه الشروط هي:

أ - تطهير القلب:

فالقلب بغير التطهر لا يصبح قابلاً لتلقي العلم وحفظه. هنا يقول ابن جماعة: «كما لا تصحّ الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة الا بطهارة الظاهر من خبث الصفات». فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب الا بطهارته من خُبث الصفات وحدث مساوىء الأخلاق ورديئها»(٢).

ب - حُسْن النية:

حسن النية على رأس الشروط التي يجب أن تتوفر عند المتعلم كما هي الحال أيضاً عند المعلم. وهذا ما اشترطه جميع المربين المسلمين.

ومن الطبيعي جداً أن تكون النية مرتبطة بالشرط السابق أعلاه الذي هو تطهير

---

(١) هذا التقسيم لآداب المعلم والمتعلم درج عليه معظم الفقهاء. انظر، نفس الموسوعة، قطاع الفقهاء.

(٢) النص، ص ١١١.

القلب. كما أن النية أساسية وغاية أولى لكل عمل صالح في التعلم والعلم معاً. وهكذا يكون على المتعلم واجب هو «أن يقصد به أي العلم وجه الله تعالى، والعمل به، وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه».

جـ ـ تحصيل العلم في الوقت المناسب من العمر والتفرغ التام للتحصيل:

يختار كاتبنا مرحلة الشباب «شرخ الشباب» كأفضل مرحلة لطلب العلم وتحصيله؛ على أن تكون المرحلة السابقة لها هي للتحفز والتهيئة والتحضير، لأن في التسويف والتأجيل ضرراً للمتعلم الذي يجب عليه أن يتفرغ له دون إهمال ولا «فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بديل لها، ولا عوض عنها»[1]. هنا يذكر لنا ابن جماعة وصيةَ أحدِ الأساتذة لطلابه إذْ قال لهم: «اصبغْ ثوبكَ كيلا يشغلك فِكْرُ غسْلِه»[2] إن تكريس اكبر ما يمكن من الوقت للتحصيل هو فكرة نجدها مراراً وبكثرة في نظريات ابن جماعة وأقرانه ممن رأينا وسنرى من الفقهاء في مجال الدعوة إلى الانصراف التام للتعلم[3].

د ـ الانصراف عن مشاغل الدنيا والقناعة منها بالضروري:

هنا أيضاً، كما رأينا أعلاه، تكثر الوصايا الأخلاقية ذات الطابع التزهيدي في الحياة، فيوصي ابن جماعة طالب العلم الديني بشكل خاص بالتقشف، والقناعة، وتحمل المشاق، والرضى بالقليل، والصبر على ضيق العيش. وحتى الزواج يفضل تأجيله ما أمكن، لأنه يصرف البال عن العلم، ويشغل الفكر. فكأنّ كاتبنا وغيره من أمثاله «الفقهاء» لم يستطيعوا تصور نجاح طالب علم أشغلته مفاتن الدنيا ورغبات الجسد أو هموم الأسرة. لذلك فإن صاحب «تذكرة السامع والمتكلم»[4] يشدد على أنه لا بد من الاختيار: فإما الدنيا ومشاغلها بلا علم، أو الاقتناع بالضروري منها ليقوم أود الجسد مع العلم.

---

(١) النص، ص ١١٢.

(٢) النص، ص ١١٢.

(٣) قا. الغزالي، زين الدين العاملي، الطوسي، وغيرهم من الفقهاء.

(٤) لا حاجة للإشارة إلى أن السامع هو المتعلم، والمتكلم هو المعلّم.

هـ ـ اغتنام جميع الأوقات طلباً لتحصيل الأسرع والأفضل:

يكرر ابن جماعة شروطه على المتعلّم بصياغات مختلفة وبتفاصيل احياناً كثيرة ومكررة: فهو يحدد أجود الأوقات وأفضل الأماكن لتسهيل التعلم على الطلاب. فمثلاً هو ينبه الى أن «اجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الابكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل[1]» أما اجود أماكن الحفظ فهي «الغرف وكل موضع بعيد عن الملهيات». وهكذا نرى ابن جماعة يضع للمتعلم برنامج عمل يومي موزعاً حسب ساعات النهار وما يناسب كل وقت من عمل.

و ـ قلة الأكل، فوائدها ومساوئها:

ومن الوصايا العملية التي تساعد على التحصيل، بنظر ابن جماعة، الاقلال من الطعام. وأن«من أعظم الأسباب المُعينةِ على الاشتغال والفهم وعدم الملال أكل القدر اليسير من الحلال». ويستشهد الكاتب كالعادة، بآيات قرآنية وأخبار وما إلى ذلك. بل إنــه يوصي باجتناب بعض الطعام الذي يسبب البلادة[2]. ويحاول أن يربط بين ضعف التذكر أو قلة الحفظ وأنواع معينة من الأطعمة أو كثرتها لأنها تزيد من طلب الماء. كما أن زيادة الطلب على الطعام تتخم المعدة وتزيد البلغم. وهذا بدوره يضعف الفكر.

ز ـ وصايا متعلقة بالنوم والراحة:

ولا ينسى ابن جماعة توجيه الطالب صوب بعض الشروط البدنية التي يجب أن تتوفر كي يبلغ المتعلم مراده بأقصى ما يمكن من النتائج الحسنة. فعلى المتعلم أن ينام ثلث اليوم فقط، وأن يعطي جسمه حقه لا أكثر «ولا بأس أن يُريح نفسه وقلبه وذهنه وبصره إذا كلّ شيء من ذلك أو ضعف» كما وعليه الذهاب الى المنتزهات التي توفر له

---

(١) النص، ص ١١٤.

(٢) هذه الظاهرة معروفة في الطب الشعبي العربي. فقد اعتقد العرب بأن بعض الأطعمة ذات تأثير إيجابي في الذهن، وان بعضها الآخر يسبب البلادة أو يورث النسيان أو يقوي الذاكرة...

العودة إلى نشاطه وتعوض طاقته[1] كما أن المشي ورياضة البدن من الضروريات لراحة الجسد والفكر عند المتعلم.

ح ـ اختيار الصديق الصالح، للانتفاع به:

الصديق الفاضل يساعد الطالب على اكتساب الفضائل، وعلى الاقتداء بالصالحين. وفي معاشرة الأخيار صلاحُ حالٍ واستفادة، لأن «الطباع سرّاقة». وهنا يكرر ابن جماعة المعروف جيداً حول ضرورة اختيار الصديق الصالح وشروط العشير أو الرفيق الفاضل، بسبب ما يترتب على العشرة من اكتساب وتعلم لبعض العادات سواء الحميدة منها أو المذمومة. وعلى العموم نجد صفات كثيرة مطلوبة من الصديق الصالح مثل: الورع، والتقوى، وغيرهما من الصفات الدينية. يُضاف الى ذلك أيضاً خصالٌ أخلاقية عديدة ذات منطلق ديني حيناً، وخُلُقي حيناً آخر[2].

٢ ـ آداب الطالب مع شيخه (مع المعلم):

كانت نظرة الفقهاء الى المعلم، وابن جماعة احدهم، نظرة ذات منطلق ديني وخلقي معاً. فكون المعلم هو حامل العلم(عالِم) يتوجب له ما يتوجب للعالم أو للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء وبمستوى الملائكة من فضلٍ وشرفٍ وتقدير. فيكون على رأس الوصايا التي توجَّه إلى الطالب: «طاعة الشيخ في جميع الأمور والتواضع لـه». ينبغي على الطالب أن يكون مع المعلم كما يكون «المريض مع الطبيب الماهر». هذا من جهة، ومن جهة أخرى فعلى المتعلم «إجلالُ الشيخ[3]، ومعرفةُ حقه، والدعاء له، وصيانة حرمته، وشكره...[4]».

هذا من حيث المكانة والموقع الذي يشغله العالم في المجتمع؛ أما من حيث

---

(١) النص، ص ١١٧، إنها فكرة تربوية رائعة لابن جماعة.
(٢) هنا يوصي ابن جماعة (النص، ص ١١٨) بالفصل بين الإناث والذكور حفاظاً على أخلاق كل من الجنسَيْن.
(٣) النص، ص ١٢١.
(٤) النص، ص ١٢١.

الوظيفة الدينية التعليمية المثالية المخول بها والمندوب لها، فيترتب عليه أن يجمع في شخصه صفات مثالية كثيرة سبق ذكرها: أخلاقية، ودينية، ومهنية. ولا بد له من سمعة جيدة، وقدرات ذهنية عالية في مجال عمله أقلُّها القدرة على «تفهم الطالب والمقدرة على تعليمه». من هنا كان الفقهاء يدركون تماماً أن ليس كل عالم قادراً على أن يكون معلماً، فكانت وصاياهم وتأكيداتهم على الطالب أن يحسن اختيار المعلم، أي «من كملت أهليتُه، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته، وعُرِفت عفته، واشتهرت صيانته. وكان أحسن تعليماً، وأجود تفهّماً».

وحيث إن المعلم بتلك القدرات والفضائل العالية، وصاحب اختصاص، وذو نفع يعم المجتمع بأسره، فإن ابن جماعة يرسم لنا قواعد عملية ونفعية، على المتعلمين اتباعها ازاء المعلم كي يستطيع هذا اداء مهمته بنجاح، وكي تكون العملية التربوية والتعليمية ناجحة وتحقق غايتها. هنا نجد ابن جماعة يهب، ويدخل في التفاصيل، ويشدد على ضرورات الاحترام العميق الذي يبلغ حد التقديس احياناً إن لم نَقُلْ الطاعة العمياء. فلنحاول أن نعرض بسرعة بعض المبادىء التي تتحكم في التعامل بين المتعلم والمعلم كما وردت عند ابن جماعة وكما كانت سائدة آنذاك:

أ ـ **طاعة الشيخ** (أو المدرس المعلم) في جميع الأمور ضرورية، والتواضع له مطلوب ايضاً. وهكذا فعلى المتعلم أن «يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر» هنا أيضاً نجد قصة الخضر مع النبي موسى[1]. فالأول هو المعلم الذي تجب طاعته، وعدم مناقشته، والثقة بما يفعله وما قد يصدر عنه وإن بدا مستغرباً، إن موسى(النبي) غير العارف، كما تقول الآيات القرآنية، حيث أدهَشَهُ عمل العبد الصالح. فقد اقدم «الخضر» على قتل ولدٍ، وثقب السفينة، وبناء الحائط لقوم في مدينة لم يطعمه أحد من أهلها[2]. في الوقت الذي كان يهدف هو (العبد الصالح أو الخضر) إلى ما يهدف اليه.

---

(١) أخذ الفقهاء من هذه القصة مثالاً ونموذجاً يحتذي به كل متعلم مهما ارتفع شأنه وعلا قدره.

(٢) تراجع التفسيرات لحالة العبد الصالح مع موسى في: الطبري، المسعودي، والثعلبي،

على الطالب إذن، وباختصار، التواضع للمعلم، واحترامه وتقديره والثقة به. لأن المعلم هو الأقدر والأعرف بالشؤون كلها وحتى بمصلحة المتعلّم ذاته.

ب ـ إجلال الشيخ:

لا طاعة ان لم يكن هناك اجلال. فالموقفان متلازمان؛ يفرض أحدهما الآخر. ان الإجلال واجب في مخاطبة الشيخ، وفي الجلوس معه، وفي الدعاء له، وفي طريقة طرح الأسئلة عليه والدخول اليه. يضاف الى ذلك قاعدةٌ أخرى هي «صيانة حرمة الشيخ»، ومعرفة حقه، أي أن عليه أن «**يعظّم حرمته**، ويرد غيبته، ويغضب لها»[1].

ويقدم الكاتب أمثلة من سيرة الأوائل ومواقفهم الإجلالية من شيوخهم غايتها ترسيخ الاحترام والاعتراف بقدر الشيخ للنهج على سيرتهم ومنهجهم. فالاقتداء بالشيخ الفاضل طريقة لنقل الفضائل للطلاب المتحلقين حوله.

جـ ـ قواعد سلوكية أخرى تجاه الشيخ[2]:

حتى وان اكتفينا بالاشارة المقتضبة في مجال بعض القواعد العملية التي ينبغي على المتعلم احترامها في سلوكه التّعلمي، فإننا لا نستطيع تجنب الإلحاح على الدور الذي أعطاه ابن جماعة للشيخ في العملية التربوية. إذْ كان ذلك الدور على قدر كبير جداً من الأهمية وله أولوية تامة. وهذا شأن جميع الفقهاء، حيث ان نظريتهم إلى المعلم(الشيخ) كانت ذات منطلق ديني وأخلاقي معاً كما سبق ذكره.

فعلى المتعلم مثلاً الصبر على الجفوة التي قد تصدر ازاءه عن المدرس، وعلى الطالب أن يتحمل حتى الإذلال إن صَدَر من المعلم. لأنه **لا مذلّة في طلب العلم** وبالعكس فعلى الطالب أن يشكر الشيخ على كل ما يصدر عنه، إذْ كل ما يصدر عن

والمقدسي، وابن إياس، وغيرهم من المفسرين. وقد دخلتها عند أولئك كثرة من «الاسرائيليات» والمعتقدات الشعبية.

(١) النص، ص ١٢٢.

(٢) يورد ابن جماعة ١٣ نوعاً من آداب المتعلم مع المعلم. انظر الرسم البياني الخاص بآداب المتعلم مع أستاذه ص، ٤٠.

العالم الفاضل فيه ما ينفع الطالب. وباختصار، ان قواعد التعامل مع الشيخ هي لمصلحة المتعلم، وأساسها الاحترام والأدب، والمعاملة بوقار. وهي عبارة عن وصايا تتحكم بها طبيعة العلاقة التي افترض ابن جماعة أنها يجب أن تتحكم بالمتعلم مع المعلم. فمثلاً: ينظِّم ابن جماعة قواعد كثيرة منها طريقة الدخول على الشيخ سواء في حلقة الدرس أو غيرها: كالاستئذان عند الدخول؛ وطريقة طرق الباب، واسلوب الدخول، وطريقة التسليم، والجلوس في حلقة الشيخ...

د ـ آداب الجلوس والسؤال والإصغاء والانتباه والمرافقة:

تحت هذه العناوين يقدم لنا كاتبنا خلاصة المبادىء العملية التي كان يفرضها المجتمع على الفرد في التعامل في مجالات المجالسة، وطرح الأسئلة، والاستماع، والمنادمة، والمرافقة، أي السير مع الشخصية الموقّرة، سواءً كانت أباً أم قريباً وقوراً أم معلماً أم شيخاً أم قاضياً وإلى من سواهم. لن ندخل هنا في التفاصيل التي يوردها ابن جماعة، والتي تُعَرِّفنا، كما ذكرنا اعلاه، على القواعد الاجتماعية والسلوكات المثالية[1]. ونكتفي بإعطاء لمحة سريعة عن بعضها:

لا يجوز الجلوس بين يدي الشيخ وفق ما يحلو للطالب، وكما يشاء، وساعة يشاء، وكيفما يشاء. إنه مقيد بقواعد عملية مسبقة، جاهزة، وقابلة للتعميم. يقال الأمر عينه بصدد طرح السؤال: هنا على المتعلّم «أن يُحسن خطابه مع الشيخ بقدر الإمكان ولا يقول له لِمَ...؟ ولا من «قال» هذا؟ ولا أين موضعه؟ ولا شبه ذلك». بل عليه أن يأخذ بستر ظاهر شيخه «إن لم يكن المعلم مصيباً لغفلةٍ أو سهو أو قصور».

ومع التلطف في السؤال، فإن الوجه الآخر هو حُسْنُ الاستماع وجودة الانتباه. هنا يجب أن يكون الاصغاء تاماً، كإصغاء المتعطش. وفي حال عدم سماع الجواب

---

(١) سوف نرى بالتفصيل (في الحلقة القادمة) آدابية الجلوس والمنادمة والمعاشرة وما إلى ذلك من قواعد مثالية منظَّمة ومُنَمطة داخل قطاع الأدبيات (آداب الوصايا والمرايا) في الفكر التربوي الإسلامي. نجد تلك القواعد الاجتماعية العامة في كتاب التاج المنسوب للجاحظ. والأمثلة كثيرة. ونقرؤها في «العقد الفريد» أيضاً.

بوضوح، يترتب على الطالب اعادة السؤال بعد تقديم العذر، والاقبال التام على الاستماع كي لا يوجب الشيخ للإعادة، فيضيع جهده ووقته.

ومن قواعد الاصغاء والسؤال عند المتعلم أن لا يسبق الشيخ الى الجواب، ولا يقاطعه. وأن يكون حاضر الذهن دائماً مع الشيخ، بحيث اذا أمر بشيء أو سأل عن شيء، فإن على المتعلم عندئذ المبادرة فوراً لالتقاطه وحفظه.

ويرسم ابن جماعة آدابية المناولة أي طريقة أخذِ الكتاب، وإعطاء القلم، والسكين، وفرش السجادة، وتقديم النعل للشيخ عند الخروج... فعلى المتعلم أن لا يأنف، وأن لا يتردد في خدمة شيخه ابدا. لان في المأثور: «أربعة لا يأنف الشريف منهن وانْ كان اميراً: قيامه من مجلسه لابيه، وخدمته لعالم يتعلم منه، والسؤال عن ما لا يعلم، وخدمته للضيف». وأخيراً، هناك ايضاً الطريقة التي يجب أن يمشي بها المتعلم عند مرافقته الشيخ. فهنا أيضاً، في هذا المضمار، ادب خاص يتغير حسب السير في الظل أو في الليل أو في النهار، أو في الزحمة، أو في الأماكن المجهولة والخطرة. فلكل حالة طريقتها التي تناسب الشيخ وموقعه بالنسبة للمتعلم. حيث يكون **المعلم بمنزلة الأب إن لم يكن أفضل منه**[1]. وتكون غاية المتعلم اكتساب رضاه وعطفه والدخول الى قلبه للاستفادة الى الحد الاقصى، وليؤدي بعض ما لمعلمه من فضل عليه.

٣ ـ آداب (قواعد) الدراسة: آداب المتعلم في دروسه:

رأينا ابن جماعة يقمش المعلومات ، وينسق المبادىء والوصايا السائدة في عصره، المتعلقة بشروط وآداب الطالب والمعلم. وها هو، بعد ذلك، يقوم بالعمل نفسه بصدد تقميش وتبويب المبادىء المتعلقة بطرائق الدراسة من باب التيسير على الطالب، وتسهيل الامر عليه؛ ولكي يصل الى غايته بأيسرِ الطرق وأسهلها. وإلا

---

(١) من الفقهاء من فضل المعلّم على الأب؛ واعتبروه الأب الروحي. فإذا كان الأب الحقيقي هو سبب الوجود في الدنيا، فإن المعلّم (الأب الروحي) هو سبب في تحقيق حسن المآل في الآخرة.

سوف يعرض نفسه للهلاك، وجهوده وعمره للضياع. إذن هناك منهج، وطريق نتعامل مع هذا المنهج. وباتباع هذا المنهج يكون خلاص المتعلم، وتحقيق الغرض من العلم:

أ ـ طرائق التدريس:

القضية هنا، عند الكاتب، عبارة عن وصايا وارشادات. تبدأ بالاعتماد الكلي على المعلم كما ذكرنا، ذلك المعلم الذي يكون «الاحسن تعليماً والاكثر تحقيقاً وتحصيلاً». وتشير القاعدة الأعم إلى التدرج في العلوم والتقدم بها: اذْ لا يمنع من حفظ مختصر من كل فن. هذا مع الالتزام بعدم الاشتغال بالخلافات الحاصلة بين الشيوخ مبكراً وخاصة خلاف العقليات والسمعيات «فإنه يحير الذهن ويدهش العقل». كما يوصي ابن جماعة ويشير الى عدم التعرض الى المصنفات الكثيرة للفن الواحد «فإنها تضيع العمر وتشتت الذهن[1]». ومبدأ التدرج أيضا، اوصى به ابن جماعة في مجالات التدريس كافة. ففي تعلم الحديث مثلاً: يدرس المتعلم ما هو صحيح، ويتلافى حفظ ما لم يتأكد من صحته، ويحفظ كتبه بالتدريج وحسب الأهمية. بعد ذلك ينتقل الى المبسوطات، وفي هذه المرحلة يشير على المتعلم بأن لا ينتقل الى النظر في الخلافات العقلية والسمعية التي تحظر على المبتدئين. لأن الابتداء بها في نظر كاتبنا تحير العقل وتشتت الذهن، وتضيع الجهد. وبالتالي قد تكون سبباً في افساد المتعلم وضياع العلم. ومن أجل الحفظ الجيد، لا نجد عنده وسيلة أفضل من التكرار. والحفظ لا يكون إلا بعد التصحيح والضبط أو الفهم الجيد.

يضاف إلى ما سبق من مبادىء تسهّل الدرس والتدريس على المتعلم، قواعد أخرى همة متعلقة بالتعلم المستمر والمذاكرة الدؤوبة. هنا نجده يحث الطالب على أن يكون ذا أهمية عالية، وأن يحسن اختيار الأوقات المناسبة للدرس والمذاكرة...

ب ـ مواد التدريس أو منهج الدراسة:

من الطبيعي أن يكون الابتداء بالقرآن، بصرف النظر عن العمر أو المرحلة

---

(١) يشدد أيضا على ذلك العائق التربوي التعليمي الغزالي وابن خلدون ثم ابن الأزرق.

التي بـدأ فيها الطالب. التربية المقصودة والمخطط لها، عند صاحب «تذكرة السامع»، هي تربية دينية بحتة، كما رأينا من خلال مواضيعها ومناهجها. وهي التربية المناسبة والكاملة في نظر فقيهنا سواء أكان ذلك في مجال تربية الاحداث والمبتدئين أو في مجال التعليم العالي بل والتعلّم المستمر.

إن أول مادة دراسية، يبدأ بها المتعلم، هي القرآن. فعلى المتعلم أن «يجتهد على اتقان تفسيره وسائر علومه. فإنه أصل العلوم وامها وأهمها». أما المادة الثانية فهي الحديث، وطريقة تعلمه هي كما رأينا أعلاه: تـدريجية مع حفظ المراجع الأساسية ثم الانتقال إلى اختلافات المذاهب والسمعيات والعقليات، بعد أن يكون المتعلم قد بلغ مرحلة يكون قادراً بها على الفهم والاستيعاب للخلافات في الموضوعات والمصنفات المتعددة[1]

جـ - تعامل الطلاب فيما بينهم:

يخضع ابن جماعة جلوس الطالب في الدرس إلى مجموعة من القواعد والمواصفات. منها التسليم على الحاضرين، والجلوس حيث انتهى المجلس، الحذر من المزاحمة، وايثار الجلوس قرب الشيخ، جلوس المتميزين في أماكن مخصصة إذ يجوز أن تكون لهم أماكن معينة. ويستعين ابن جماعة في تلك المواصفات لتدعيم آرائه تلك باللجوء إلى الشواهد الكثيرة، والاخبار، وما كانت عليه سنّة الفقهاء والمحدّثين الكبار[2]

أما الطلاب فيما بينهم فعليهم التأدب عموماً، والحذر من الحركات المذمومة، والمحافظة على راحة وفائدة الآخرين وعدم مضايقتهم. ويكرر كاتبنا أن عليهم - كما سبق - وجوب مراعاة ظروف الشيخ، والتحرز من إزعاجه أو مضايقته أو التعلم منه

---

(١) لم يفصّل ابن جماعة العلوم التي يجب على المتعلم طلبها، ولم يشتغل في تقسيمها: شرعية وغير شرعية، ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية...

(٢) النص، ص ١٣٨، ١٣٩.

عند انشغال قلبه، «أو عند مله أو غضبه أو جوعه أو عطشه أو نعاسه أو استيفازه أو تعبه»[١].

كما أن على الطالب مساعدة زملائه، والتعاون معهم، وحثهم على التحصيل والتمسك بالدين، ونصحهم، والحذر والتحذير من رفاق السوء.

د ـ التعامل مع المعيد:

كان للمعيد، في التربية العربية، دور كبير؛ وقد بحث ابن جماعة في وظائف المعيد الكثيرة، وفي شروطه[٢]. واثنى على مهامه وعلى المنفعة الجمّة التي يمكن أن يجنيها منه الطلاب، والمتأخرون خاصة، والذين أخطأوا هنا أو هناك. . . هنا يكون المعيد قادراً على سد النقص، وتفهيم المغلق، وتوضيح المشكلات، ومساعدة الطلاب على تجاوز الصعوبات. وفي ذلك كله يوفر المعيد كثيراً من وقت وجهد المدرس والطالب على السواء.

يضاف الى ذلك من ايجابيات المعيد أن الطالب ربما انتفع أكثر من زميله الطالب القائم بهذا الدور، كما أن من الوظائف بالنسبة للمعيد ما هو عبارة عن تهيئته، هو نفسه، للقيام بدور التعليم فيما بعد.

. . .وهكذا يسرد ابن جماعة للمتعلم مجموعة (١٣نوعاً)[٣] من النصائح والارشادات المتعلقة في نفسه، وتهيئتها للعلم، وطلبه باطناً وظاهراً. وفي آدابه وتعامله مع استاذه الذي هو محور العملية واسسها ومصدر كل علم. ورأينا ايضاً آدابية المنهج والطريقة التي يجب على المتكلم والسامع سلوكها ليكون جهدهما ووقتهما غير مهدّدين بالضياع. وهذه القواعد جميعها قد تحددت منطلقاتها الدينية والأخلاقية من ناحية، ومن ناحية ثانية فهي قواعد تحكمها النظرة المثالية للعلم وحَمَلَته وطالبيه على السواء. فجاءت هذه لتعكس الظروف الثقافية والتعليمية والتعلمية للمجتمع والبشر.

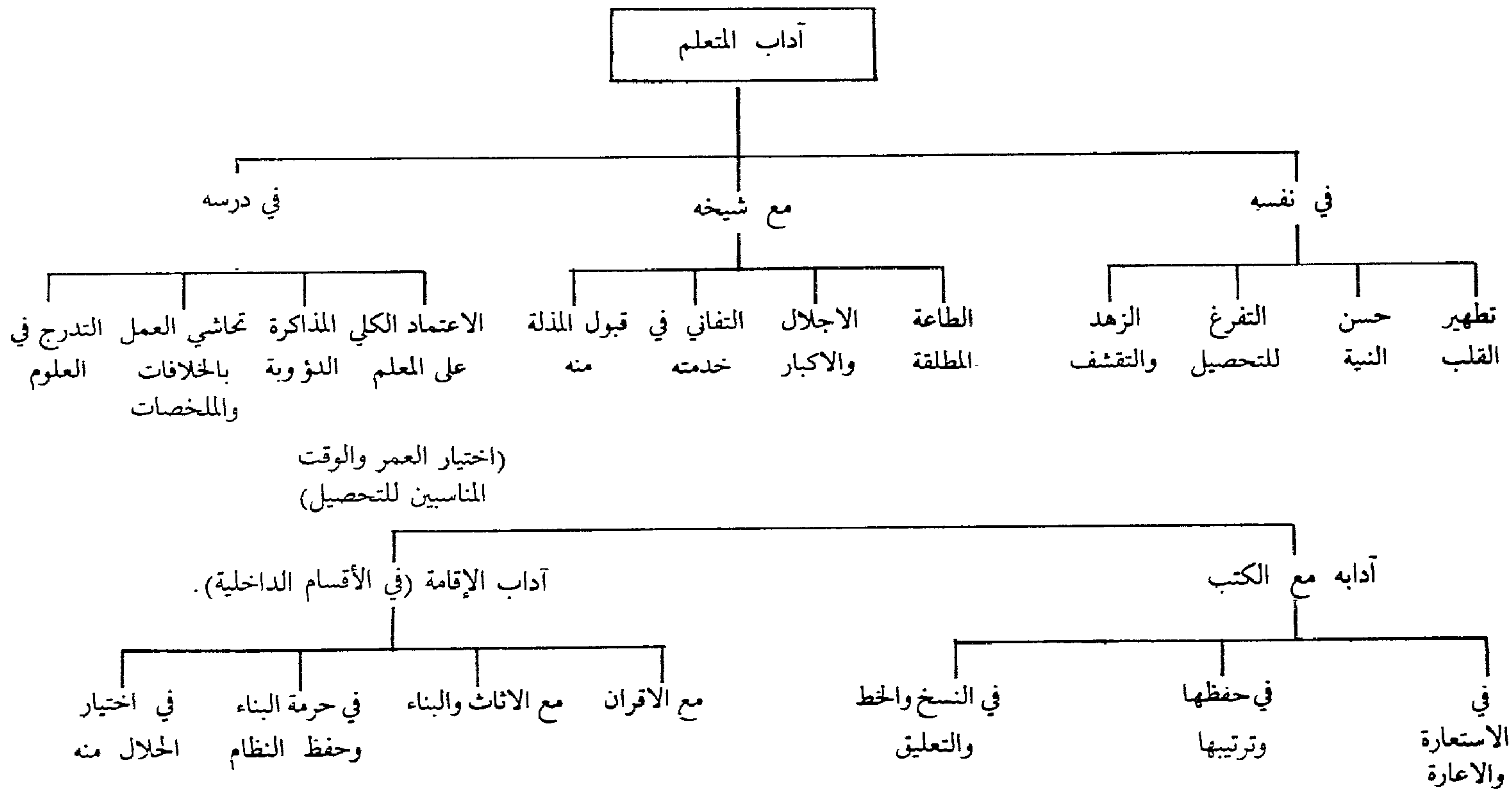
---

(١) النص، ص ١٣٩.

(٢) قارن السمعاني وشروطه للمعيد. نفس الموسوعة.

(٣) انظر الرسم البياني الخاص بآداب وشروط المتعلم.

تلخيص لآداب المتعلم
في اطار التربية المستمرة



المدارس والتعامل مع الكتب:
(التربية المستمرة)

أولاً: سكن المدارس:

قد يكون هذا الموضوع من المواضيع التربوية المستحدثة في مجتمع ابن جماعة. لأننا لم نجد عند أقرانه ممن هم قبله أو بعده ما يشابه هذا الموضوع الذي عالجه من زاوية تربوية وأخلاقية. إذ يمكن القول إن ظاهرة سكن الطلاب والمتعلمين في المدارس[1]. أخذت تتبلور بعد شيوع التعليم والإقبال الواسع عليه قاصدين مراكزه ومتابعة الضالعين فيه. فذاك هو ما دعا طلاب العلم إلى ترك أُسرهم وأهليهم ومساكنهم للإقامة في مساكن خصصت لهذه الغاية النبيلة، أي من اجل خدمة العلم والمتعلمين وتسهيلاً لهم. فكانت هذه الظاهرة احدى المعطيات الاجتماعية والحضارية لمجتمع ابن جماعة. فتناولها تنظيماً وتأديباً مع ما تناوله من الأمور الأخرى التي رأينا وسنرى.

ومن نفس المنطلق الديني والأخلاقي تناول الكاتب هذا الجانب التربوي للمعلم أو طالب العلم، حيث كان لا بد من أن يُرشد الراغب في سكن المدارس إلى بعض الوصايا منها:

ـ أن يتحقق أولاً من مدى شرعية البناء ومن الطريق التي آل بها ذلك البناء لهذا

---

(١) قا: ما نطلق عليه اليوم «الأقسام الداخلية».

الشأن، والشروط الموضوعة له، ولساكنيها. وذلك من أجل حفظ دين المقيم إذ ينبغي عليه أن يتعامل مع «الحلال» من ناحية، وأن يحقق تنفيذ الشروط الموضوعة له من ناحية أخرى. والا فالساكن يتعرّض لخسران دينه وثمرة علمه[1].

بعد هذا الشرط الاساسي ينتقل بنا الكاتب إلى نصائح وإرشادات يوجّهها إلى هذه الفئة «الداخلية» أو الساكنة في دار مخصص للعلم. فتلك الفئة، من طلبة العلم، واجبهم أن لا يعرّضوا دينهم وخلقهم للسوء، بما قد يقدمون عليه من سلوك وتصرفات تؤذيهم وتؤذي غيرهم.

تدور آدابية المسكن حول جميع الجوانب التي قد يتعرض لها الطالب في مختلف الظروف، وتتلخص بإحدى عشرة «وصية»؛ ابتداءً من اختيار «الحلال» من البناء، وانتهاءً بالمحافظة على توقيت الدروس، والالتزام بها ليسود النظام في جميع اقسام البناء، ومروراً بحسن اختيار المبنى الذي يتوفر فيه المعلم المفيد والمشهود له... وهناك أيضاً آداب أخرى تنظم التصرفات التي قد تبدر عن الطلاب في الظروف السكنية المذكورة، مثل: المحافظة على أثاث المدرسة وأثاث مسجدها، وعدم الجلوس في الأماكن غير المخصصة للسكن(المداخل والسلالم)، والمحافظة على حرمة الساكنين معه في البناء وتكريمهم. لينصرف كلياً الى الغاية التي وجد من أجلها في ذلك المكان، والتفرغ لها وقتاً وعملاً ومعاشرة[2].

إن ابن جماعة قد التفت الى ثغرة يمكن ان تتسرب من خلالها الإساءة للأدب والدين، أو تكون سبباً لاكتساب بعض العادات المذمومة والسلوك المشين للعلم وطلبته. فعالج ما قد يؤدي إلى الانحراف ونبّه إلى تصرفات غير لائقة ينبغي اصلاحها عن طريق التربية المستمرة(تربية الخلق) حيث يلاحق المتعلم في قاعات الدرس وخارجها، وأثناء الدراسة وبعد تخرجه. وفي جميع الأحوال فإن التربية عملية يشدد ابن جماعة على طبيعتها المستمرة وعلى كونها لا تتوقف ولا تبلغ الكمال.

---

(١) انظر، النص، ص ١٥٩ ـ ١٦٢.

(٢) يحذر ابن جماعة من إقامة العائلات أو المتزوجين والصبيان في مثل تلك المساكن.

ثانياً: التعامل مع الكتب:

الموضوع الثاني الذي تناوله فقيهنا والذي يأتي في اطار التربية الدائمة والتعليم المستمر هو التعامل مع الكتب. لقد تناول هذا الموضوع من منطلق أهمية الكتب والدور الذي تؤديه للعلم والمعلمين والمتعلمين.

(أ) طرق الحصول عليها:

الكتب هي حافظة للعلم، وأحد مصادره. لا بد من الحصول عليها للرجوع لها عند الحاجة. وهذا بالرغم من تأكيد ابن جماعة والفقهاء عامة على عدم جواز «مشيخة الكتاب» بمعنى أن يصبح الكتاب هو المصدر الاول والاخير للعلوم. والواقع أنه لا بد من أولوية المعلم أو الشيخ كمصدر رئيسي واساسي للعلم والتربية. ولكن لما كانت تُعتبر الكتبُ احدى مصادر العلم ومراجعه، فإن كاتبنا يرشد الطلاب الى الاساليب المشروعة التي يمكن الحصول عليها بالشراء، أو الاجارة، أو الإعارة، أو النسخ.

(ب) الاحتفاظ بها والمحافظة عليها:

نظراً للأهمية المذكورة للكتب، ومن أجل الحفاظ عليها، يرشد كاتبُنا الطالب إلى الطرق التي يجب أن يتعامل بها مع هذا النوع من المراجع والمصادر للمعلومات: سواء في حالة **التنظيم والتوضيب** (الأشرف فالأشرف) أو في **الأماكن** التي يجب أن تحفظ بها، وفي حالة **الشرح والتعليق**، حتى طريقة **الإشارة** التي يجب وضعها في المكان الذي توصل إليه القارىء (لا يثني أطرافها أو أوراقها، أو الكتابة عليها...) كما يوصيه بالمحافظة الجادة والكاملة على الكتب المستعارة، وأن يتفقد الكتب المشتراة للتأكد من صحتها. وهكذا يورد كاتبنا ثماني نصائح في هذا المجال(1). إنه لم يدع حالةً أو موقفاً ازاء الكتب إلا ويشير على الطالب بالمناسب من التصرف إزاءه. بما فيها طريقة التصويب والتصحيح والتعليق. كما يرشده إلى طريقة التأليف، وتقسيم الموضوعات، وتبويبها، واستعمال لون من الحبر يختلف باختلاف العمل المطلوب

---

(1) راجع النص ١٤٧ ـ ١٥٥.

تأليفه أو نسخه. فللتأليف حبر خاص، وللنسخ لون آخر من الحبر.

جـ - شروط الخط في نسخ الكتب:

أما الخط الذي يجب أن تُنسخ به الكتب فلا شك انه بمكانة بارزة من الأهمية نظراً لما يترتب على جودة الخط أو سوئه من تحقيق الفائدة للمتعلمين أو ضياعها. إن الغاية من الكتابة أو النسخ هي «الاستفادة منها وقت الحاجة» باعتبار ما قد يتعرض له الناسخ نفسه من ضعف نظر في الكبر. فيفقد عندها الفائدة المرجوة من الكتاب اذا كان خطه رفيعاً أو سيئاً أو صغيراً. هذا بالاضافة لبعض الشروط الدينية التي يجب أن يخضع لها الناسخ عند النسخ مثل: الطهارة، واستقبال القبلة، وطهارة الحبر، والبدء بالبسملة، والصلاة على النبي، وهناك كثرة من الدقائق المتعلقة في هذا المجال الكتابي مثل: برْي القلم، ونوع الحبر، وطريقة تنشيفه. وهكذا يتناول ابن جماعة هذا الجانب التربوي التعليمي الذي لا بد لكل متعلم من بعض الارشادات والنصائح التي ترشده الى الآداب والطرق الصالحة والمشروعة والشائعة في التعامل مع هذا النوع من أدوات العلم[1].

---

(١) انظر، النص، القسم الثاني ص، ١٤٧ ـ ١٥٥.

حكم عام وخلاصة

ابن جماعة احد الفقهاء الذين جاءوا بعد الغزالي متأثرين بآرائه التعليمية وبنهجه التربوي. أرادوا الانسان متفقهاً في الدين، عاملاً لآخرته، مغذياً بالعلم الشرعي عقله الذي فيه خلاصه في الآخرة، مهملاً جسده الذي لا وظيفة له سوى حفظ بقائه في الدنيا من أجل التزود للآخرة الباقية الخالدة.

وابن جماعة كان ذلك الفقيه الذي تفرغ للعلم ونشره بين الطلاب. وبراعته متمثلة في أنه كان معلماً وفقيهاً في آن. لقد عرف مستلزمات العلم في عصره ومجتمعه مثل: النية، والجد، والتفرغ الكامل، وخلو البال، وفعالية الارشاد والنصح . . . كما ادرك الاغراض التي قد يُطلب العلم من أجلها: الدين، أو الدنيا، أو الشهرة، أو الجاه . . . فجعل ابن جماعة من العلم غاية للمتعلم كي يحفظ دينه الذي به خلاصه في الآخرة، ووسيلة إلى كسب ذلك الدين الذي لا يقوم إلا بالعلم.

وكغيره من فقهاء السلف، كان لابن جماعة من المصادر النقلية القرآن، والسنة، والأحاديث، وسيرة السلف، وأخبار الأئمة والفقهاء. فاستعان بتلك المصادر للحث على طلب العلم ونشره وحفظه. ذلك العلم الذي أراده للدين والآخرة أولاً.

نجده يحدثنا عن بعض العلوم الشرعية فقط (القرآن، التفسير، الحديث وأخيراً الخلافات). هذا بالرغم من وجوده في عصر وفي مجتمع كانت العلوم العقلية

منها، والدينية، الشرعية وغير الشرعية، قد اخذت بكمالها، واصبح لكل منها اهله وأركانه، وكان الطلب عليها يزداد وينتشر. . . فالعلم الذي دعا إليه فقيهنا اقتصر كما ذكرنا على بعض العلوم الشرعية دون غيرها حتى اننا لا نعثر في كتابه التعليمي التربوي «تذكرة السامع والمتكلم» على ما يشير إلى بعض العلوم التي اعتبرها فقهاء آخرون من ضمن العلوم الشرعية بصرف النظر عن نفعها الفوري والمباشر للدين، مثل: علم المنطق، بعض الطبيعيات، علوم الرياضيات والطب. وبالرغم من نصيحته للمتعلم بأن يبدأ بأشرفها وأفضلها(القرآن وعلومه) فإنه بهذا كان يراعي العلم وأهميته الدينية دون النظر إلى طبيعة المتعلم ومقدرته في هذه المرحلة من التعلم، حيث كان العلم وتحصيله وحفظه هو الغرض التربوي والتعليمي ولا سواه. . . فكانت آراؤه التربوية والتعليمية أو الاتجاه العام لفكره التربوي منصباً على مستلزمات العلم ومتطلباته(آدابه وشروطه) من المتعلم والمعلم على حد سواء. وكانت رسالته كما رأينا مقتصرة على هذين الجانبين من العملية: أي ماذا يتطلب من المتعلم من آداب وشروط ليحقق أقصى ما يمكن من الفائدة في تأديب نفسه، في درسه، مع استاذه. أما عن المعلم فماذا يجب أن تتوفر عنده من إداب وشروط في نفسه ومع طلبته وفي حلقته، ليحقق أكبر قسط من الفائدة لطالب العلم. وكان لابن جماعة من قصة «موسى والخضر»[1] القرآنية خير مثال ودليل. فكانت الانموذج للعلاقة بين العالم والمتعلم.

وكما رأينا كانت الشروط والفضائل المطلوبة مثالية تقريباً. قد يصعب تحقيقها على كل متعلم أو معلم أو من يهوى العلم ويرغب فيه. إن ابن جماعة كغيره من الفقهاء الذين جاءوا بعد الغزالي، سعوا لأن يخضعوا المعلّم والمتعلم على السواء لشروط العلم القاسية ومستلزماته التي قد لا تتوفر الا عند من أراد نفسه خالصاً للعلم، ولا يشغلها بأي شيء غيره.

كانت التربية التي درسناها أقرب إلى تربية أفراد متخصصين، أي الذين سيكونون فقهاء فيما بعد. وحيث تبدأ تربيتهم وتنشئتهم على ذلك المنوال وتلك

---

(١) انتفع الفقهاء المربون، والصوفيون خصوصاً، من هذه القصة الغنية بالعبر والدروس والقائمة على المنهج الديني في المعرفة.

الطريقة. . . هذا مما دعانا الى القول إنها كانت أقرب إلى التربية المتعلقة بالمراحل العليا والمتأخرة من عمر الإنسان. إنها تربية خاصة.

أما عن المنهج التعليمي وغيره فلا بد من القول إن ابن جماعة، هو الفقيه والمعلّم والممارس، قد تَكَوَّنَ عنده من الخبرة في فن التعليم وصناعته قسطٌ لا يستهان به، فوظفه في خدمة المعلم والمتعلم ووضعه في كتابه(تذكرة السامع. . .) على السواء ليحققا غاية مشتركة لكليهما وهي: فائدة المتعلم. وضع ابن جماعة كُلاًّ منهما في المكان والموقع المناسب له ليحقق تلك الغاية التي هي: العلاقة بين المعلم والمتعلم وكيف يجب أن يتعامل المتعلم مع المعلم، والعكس بالعكس.

كانت له توجهات ومبادىء لا تزال أساسية في العملية التعليمية والتربوية، ونذكر منها: التدرج في العلم، طريقة التأديب(الثواب والعقاب) حفظ النظام في حلقة الدرس، ومراعاة الفروق الفردية للطلاب، الحفاظ على راحة المعلم، وغيرها من الإرشادات والآراء التي تُكّون أرضية لا بد منها لانطلاقة العملية التربوية في أي عصر ولأي بيئة ومهما كان الغرض. وهذا ما وجدناه قد تبلور قديماً وعند جميع الفقهاء المربين سواء بالتناقل بينهم عن طريق النصح والارشاد، أو عن طريق الممارسة(التجربة والخطأ).

قد نجد بعض المواضيع التربوية المستجدة عند فقيهنا. . . هناك مثلاً سكن المدارس، وهناك قضية التعامل مع الكتب؛ لا شك في أنها كانت من معطيات بيئته وعصره.

تناول ابن جماعة القضايا التربوية مباشرة بفكرٍ فقهيٍّ متَّصف بالارشاد والنصح المباشر، دون أن يكلّف نفسه اللجوء الى التحليل والتعليل مفترضاً أن ما يقوله الشيخ «المعلم» هو الحق والصواب وما على الطالب سوى الطاعة والإذعان لقوله. إذ كل ما يقوله المعلم فيه خير الطالب ومصلحته. كان ذلك شأن فقيهنا وغيره من الفقهاء، مارسوه ونشأوا عليه، وتعلموه. فنقلوه الى طلابهم ولمن ارادوا أن يتربوا تربيتهم. فكانت تربيتهم تقليدية وتعليمهم محافظاً. وطرائقهم منقولة من السلف إلى الخلف. والميزة الأساسية هي أننا أمام تكرار وتقميش، دون كثير إبداع أو تجديد.

من هنا يمكننا القول إنَّ الفكر الفقهي، بعد الغزالي، لم يتناول التربية العامة أي بناء الإنسان؛ إنسان الفرد والجماعة، إنسان الدين والدنيا، إنسان العقل والجسد والروح. صار الفكر التربوي بعد ابي حامد يتناول الإنسان «الفقيه» الذي هو «وارث الأنبياء ومضاهي الملائكة» وحيث ينحصر دوره في نشر الدين(المذهب) وفي الانحصار داخل بعض العلوم والتفقه فيها، أي فقط ما يحفظ الدين ويحرسه من الفرق والطوائف والخلافات الداخلية.

إن ابن جماعة لم يكن مربياً بقدر ما كان فقيهاً معلماً. حذق فَنَّ تربيةِ الفقهاء وتخريجهم على المثال الذي وضعوه هم لأنفسهم، ليمارسوا الوظيفة الدينية التي هم اختاروها... كان له منطلقاته التربوية والتعليمية، والمواضيع التي طرحها وعالجها، والمقاصد أو الغايات التي سعى اليها. كان له نظر تربوي كما كان لأقرانه، يناسب الظروف والعلوم آنذاك. وكان ما قدمه من المناهج والأساليب التربوية والتعليمية متصفاً بالنصح والارشاد. وذلك كله لا يحجب القول: إن ابن جماعة مفكر تربوي فَذّ، خدم الفكر والحضارة بما قدمه من آراء، وعالجه من قضايا.

القسم الثاني

النصــوص

تذكرة السامع والمتكلم
في أدب العالم والمتعلم

تحقيق المخطوطات ورموزها:

١ ـ نسخ الكتاب المطبوع ورمزه هـ (الهند): تحقيق ونشر السيد هاشم الندوي، ٨ جمادى الآخرة، ١٣٥٤ هـ أعيد طبعه بالتصوير، د.ت.، بيروت، المكتبة العلمية.

وقد قام على النسخ التالية:

(ر) **نسخة رامفور**: انتهى **الناسخ** منها: في ١ صفر، ٧٤٢ هـ. بعد وفاة المصنِّف بعشر سنوات. ودققها كما يذكر ناسخها على النسخة الاصلية.

(أ) **النسخة الالمانية: انتهى الناسخ** منها: ١٤ رمضان ٨٤٢ هـ ويذكر في نهاية النسخة أن المصنِّف **انتهى منها في ١٤ ذي الحجة ٦٧٢ هـ.**

(صف) **النسخة الاصفية**(حيدر آباد). انتهى **الناسخ** منها: ٥ رجب ١٠٢٧ هـ. ويذكر في نهاية النسخة ان المصنِّف انتهى منها في ١٤ ذي الحجة، ٦٧٢ هـ.

٢ ـ يضاف الى التحقيق السابق النسخ التالية التي استعملناها:

(ح) مخطوط المكتبة العثمانية ـ حلب ـ رقم ١٢٤١. أنهاها **الناسخ**: **٢١** محرم ٩٢٢ هـ . ويذكر ان المؤلف أنهاها في ١٤ ذي الحجة ٦٧٢ هـ.

(ظ) مخطوط المكتبة الظاهرية ـ دمشق ـ رقم ٥٩٠٦. انتهى **الناسخ ٢٧**

ربيع أول ١٣١٨ هـ. يشير الى المصنِّف ١٤ ذي الحجة ٦٧٢ هـ فتكون لـدينا نسخة محققة عن:

١ ـ ثلاث نسخ أو مخطوطات كما ذكرنا؛ أشرنا اليها بحرف (هـ).
٢ ـ نسخة حلب وأشرنا اليها بحرف (ح).
٣ ـ نسخة الظاهرية وهي ما قمنا بتحقيقها على النسخ السابقة واشرنا اليها بحرف (ظ) .

وما بين أيدينا تكون محصلة للنسخ السالفة الذكر مجتمعة. والتي وصلت الينا خـلال عهود وعصـور مختلفة أولهـا نسخة المصنِّف نفسـه في عام ٦٧٢ هـ والتي جاءت عنها مباشرة النسخ التالية:

(ر) رامفور عام ٧٤٢.
(أ) النسخة الالمانية عام ٨٤٢.
(ح) نسخة حلب عام ٩٢٢.
(صف) النسخة الاصفية عام ١٠٢٧.
(ظ) النسخة الظاهرية عام: ١٣١٨.
(هـ) كتاب حيدر آباد: ١٣٥٤.

وهكذا يكون «كتاب تذكرة السامع والمتكلم»، المؤلَّف التربوي للإمام ابن جماعة، قد أشبع تحقيقاً بعد وضعنا بين يدي القارىء آخر تحقيق جامع لما سبق.

ملاحظات حول التحقيقات: تبين لنا اثناء التحقيق ما يلي:

١ ـ ليس هناك شك أن جميع النسخ مأخوذة عن اصل واحد. هي نسخة المصنّف نفسه عام ٦٧٢ هـ. نظراً للاختلافات الضعيفة وغير الجوهرية تقريباً في المبنى والمعنى.

٢ ـ ان هناك أمانة في النسخ عن الأصل في جميع النسخ دون اضافات أو فذلكات أو تحريفات . هذا اذا استثنينا الحواشي والهوامش التي ظهرت في تحقيق حيدر آباد ١٣٥٤. حيث اضاف الناشر(المحقق) على النسخ الاصلية ما يزيد عنها حجماً من تعليقات وشروحات وتـواريخ لا تنفـع، عن شخصيـات واعـلام

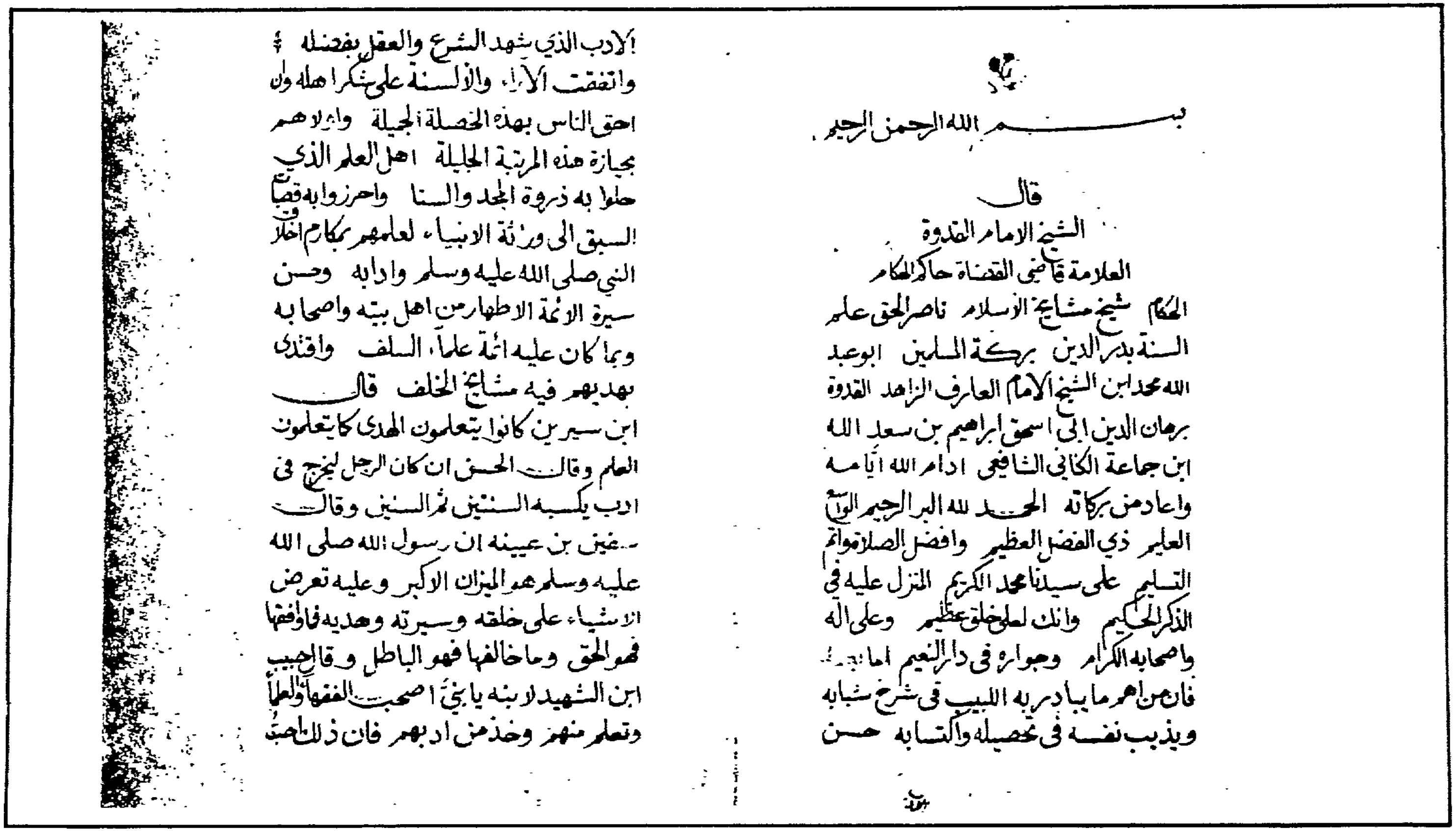
واحاديث.

٣ ـ ان بعض الاختلافات الحاصلة بين النسخ ناتجة عن:

أ ـ بعض العبارات الساقطة سهواً في (ح) ويتضح هذا من المعنى الاجمالي للفقرة أو العبارة التي تسبق أو تلي الساقط.

ب ـ بعض التصحيحات اللغوية أو الإملائية التي قام بها الناشر؛ إما مشيراً إليها في الهوامش أو لم يشر. كما فعلنا نحن حيث قمنا بصحيح كتابة الهمزة أينما وردت خطا حيث ان الناسخ كان يسقطها نهائياً ويستبدلها بحرف (الياء) مثل: العايد ـ ساير ـ الملايكة أو يكتبها دائماً على كرسي مثل مسئلة ـ سئال وغيرها.

جـ ـ هناك بعض الكلمات التي لم تعط المعنى في (هـ) وجدنا ما يوضحها ويحقق المبتغى اما في(ح) أو في(ظ) . فاثبتنا ما يحقق المعنى ويقيم الفكرة. وساعدنا على ذلك وضوح الخط في النسختين المذكورتين مشيرين طبعاً في الهامش الى كل الفروق.



بسم الله الرحمن الرحيم

قال

الشيخ الامام القدوة

العلامة قاضي القضاة حاكم الحكام

الحكام شيخ مشايخ الاسلام ناصر الحق علم

السنة بدر الدين بركة المسلمين ابو عبد

الله محمد ابن الشيخ الامام العارف الزاهد القدوة

برهان الدين ابي اسحق ابراهيم بن سعد الله

ابن جماعة الكناني الشافعي ادام الله ايامه

واعاد من بركاته الحمد لله البر الرحيم الواسع

العليم ذي الفضل العظيم وافضل الصلاة واتم

التسليم على سيدنا محمد الكريم المنزل عليه في

الذكر الحكيم وانك لعلى خلق عظيم وعلى اله

واصحابه الكرام وجواره في دار النعيم اما بعد

فان من اهم ما يبادر به اللبيب في شرخ شبابه

ويذيب نفسه في تحصيله واكتسابه حسن

الادب الذي شهد الشرع والعقل بفضله

واتفقت الاراء والالسنة على شكر اهله وان

احق الناس بهذه الخصلة الجميلة واولاهم

بحيازة هذه المرتبة الجليلة اهل العلم الذي

حلوا به ذروة المجد والسنا واحرزوا به قصبا

السبق الى وراثة الانبياء لعلمهم بمكارم اخلاق

النبي صلى الله عليه وسلم وادابه وحسن

سيرة الائمة الاطهار من اهل بيته واصحابه

وبما كان عليه ائمة علماء السلف واقتدى

بهديهم فيه مشايخ الخلف قال

ابن سيرين كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون

العلم وقال الحسن ان كان الرجل ليخرج في

ادب يكسبه السنين ثم السنين وقال

سفيان بن عيينه ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم هو الميزان الاكبر وعليه تعرض

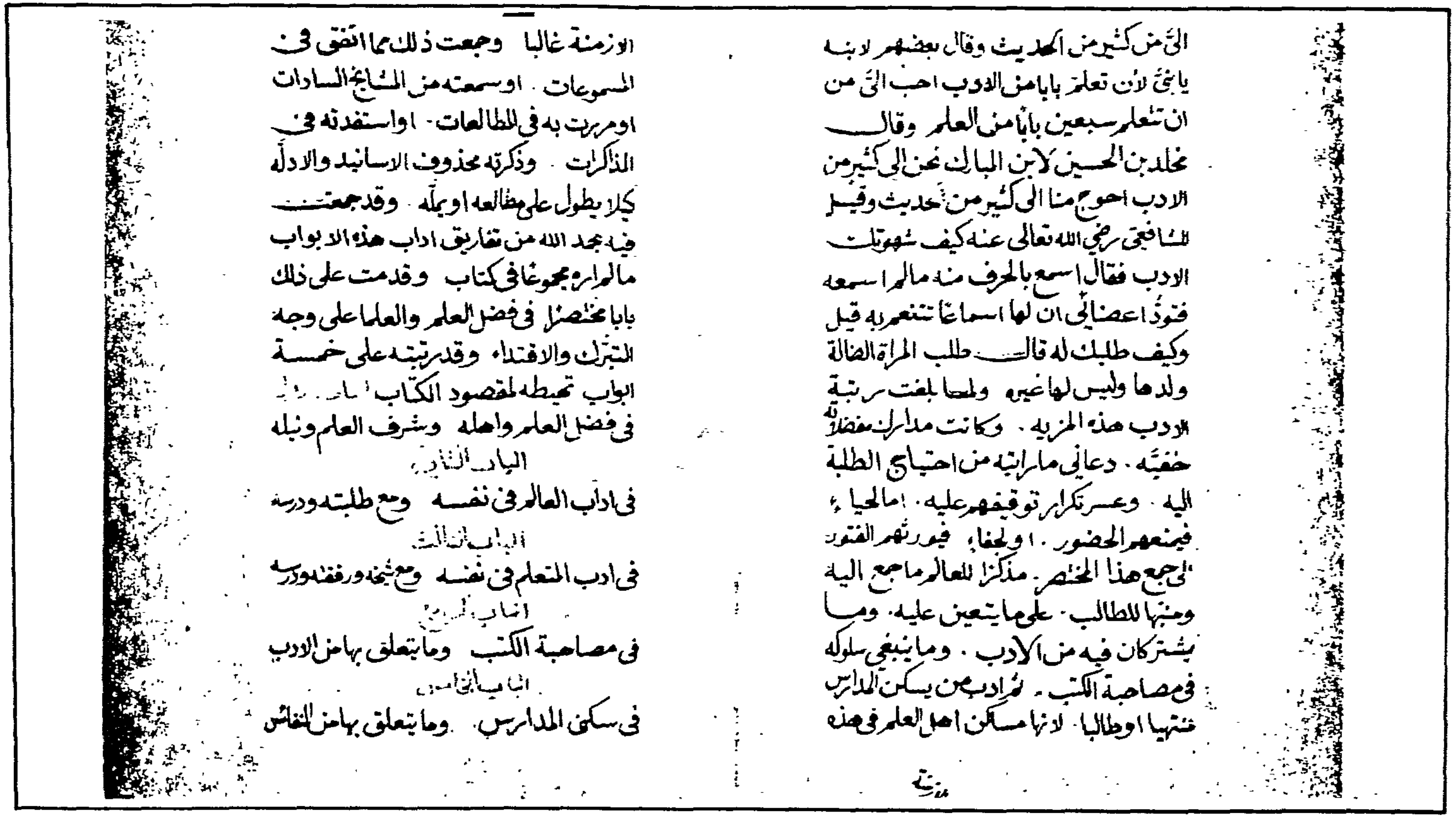
الاشياء على خلقه وسيرته وهديه فما وافقها

فهو الحق وما خالفها فهو الباطل وقال حبيب

ابن الشهيد لابنه يا بني اصحب الفقهاء والعلماء

وتعلم منهم وخذ من ادبهم فان ذلك احب

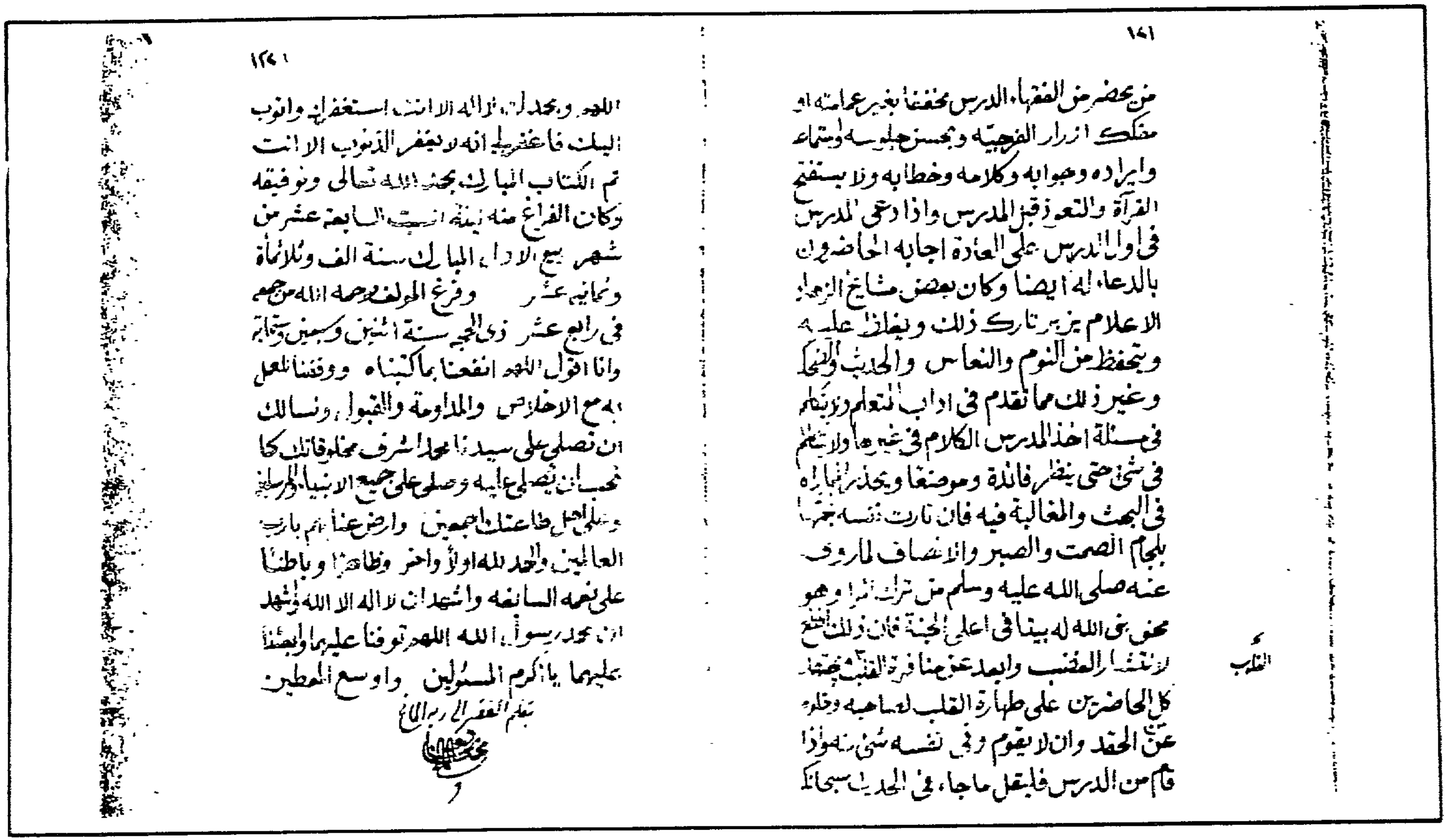
صورة عن الورقة الاولى لمخطوط الظاهرية (ظ)



الى من كثير من الحديث وقال بعضهم لابنه
يا بني لان تعلم بابا من الادب احب الي من
ان تتعلم سبعين بابا من العلم وقال
مخلد بن الحسين لابن المبارك نحن الى كثير من
الادب احوج منا الى كثير من حديث وقيل
للشافعي رضي الله تعالى عنه كيف شهوتك
للادب فقال اسمع بالحرف منه مما لم اسمعه
فتود اعضائي ان لها اسماعا تتنعم به قيل
وكيف طلبك له قال طلب المراة الضالة
ولدها وليس لها غيره ولما بلغت رتبة
الادب هذه المزية وكانت مدارك مفصلاته
خفية دعاني ما رايته من احتياج الطلبة
اليه وعسر تكرار توقيفهم عليه اما الحياء
فيمنعهم الحضور او الجفاء فيورثهم الفتور
الى جمع هذا المختصر مذكرا للعالم ما يحتاج اليه
ومنبها للطالب على ما يتعين عليه وما
يشتركان فيه من الادب وما ينبغي سلوكه
في مصاحبة الكتب ثم ادب من يسكن المدارس
منتهيا او طالبا لانها مساكن اهل العلم في هذه

الازمنة غالبا وجمعت ذلك مما اتفق في
المسموعات او سمعته من المشايخ السادات
او مررت به في المطالعات او استفدته في
المذاكرات وذكرته محذوف الاسانيد والادلة
كيلا يطول على مطالعه او يمله وقد جمعت
فيه بحمد الله من تفاريق اداب هذه الابواب
ما لم اره مجموعا في كتاب وقدمت على ذلك
بابا مختصرا في فضل العلم والعلماء على وجه
التبرك والاقتداء وقد رتبته على خمسة
ابواب تحيطه لمقصود الكتاب الباب الاول
في فضل العلم واهله وشرف العلم ونبله
الباب الثاني
في اداب العالم في نفسه ومع طلبته ودرسه
الباب الثالث
في ادب المتعلم في نفسه ومع شيخه ورفقته ودرسه
الباب الرابع
في مصاحبة الكتب وما يتعلق بها من الادب
الباب الخامس
في سكنى المدارس وما يتعلق بها من النفائس

صورة عن الورقة الثانية لمخطوط الظاهرية (ظ)



١٦١

من يحضر من الفقهاء الدرس مخففا بغير عمامته او
مفكك ازرار الفرجية ويحسن جلوسه واستماع
وايراده وجوابه وكلامه وخطابه ولا يستفتح
القراءة والتعوذ قبل المدرس واذا دعى المدرس
في اول الدرس على العادة اجابه الحاضرون
بالدعاء له ايضا وكان بعض مشايخ الزهاد
الاعلام يزجر تارك ذلك ويغلظ عليه
ويتحفظ من النوم والنعاس والحديث والضحك
وغير ذلك مما تقدم في اداب المتعلم ولا يتكلم
في مسئلة اخذ المدرس الكلام في غيرها ولا يتكلم
في شيء حتى ينظر فائدة وموضعا ويحذر من ابتداره
في البحث والمغالبة فيه فان ثارت نفسه جمحها
بلجام الصمت والصبر والانصاف لما روي
عنه صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو
محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة فان ذلك يفتح
باب الغضب ويبعد عنهما فرقة القلب ويحث
كل الحاضرين على طهارة القلب لصاحبه وخلوه
عن الحقد وان لا يقوم وفي نفسه شيء واذا
قام من الدرس فليقل ما جاء في الحديث سبحانك

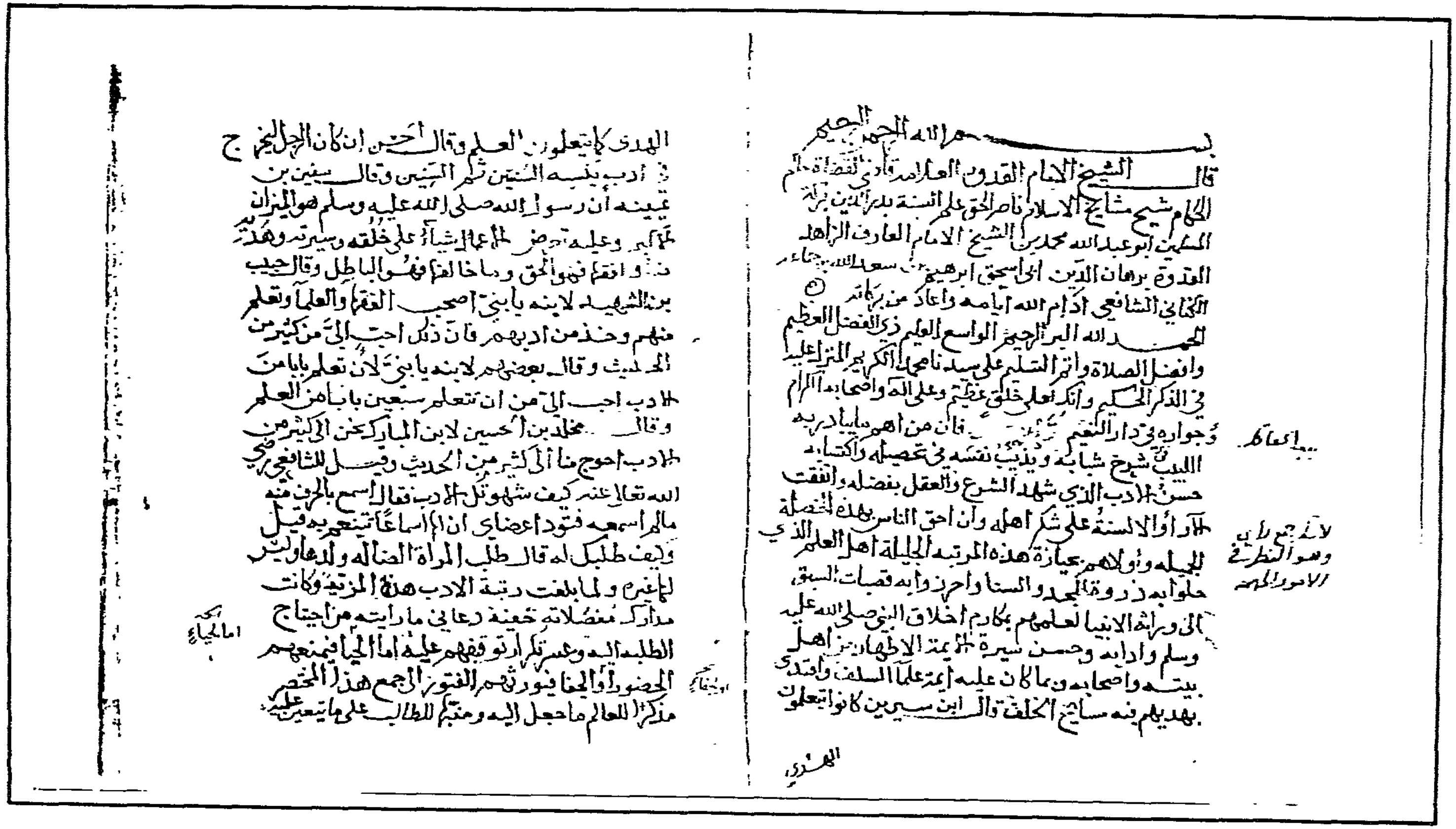
القلب

١٦١

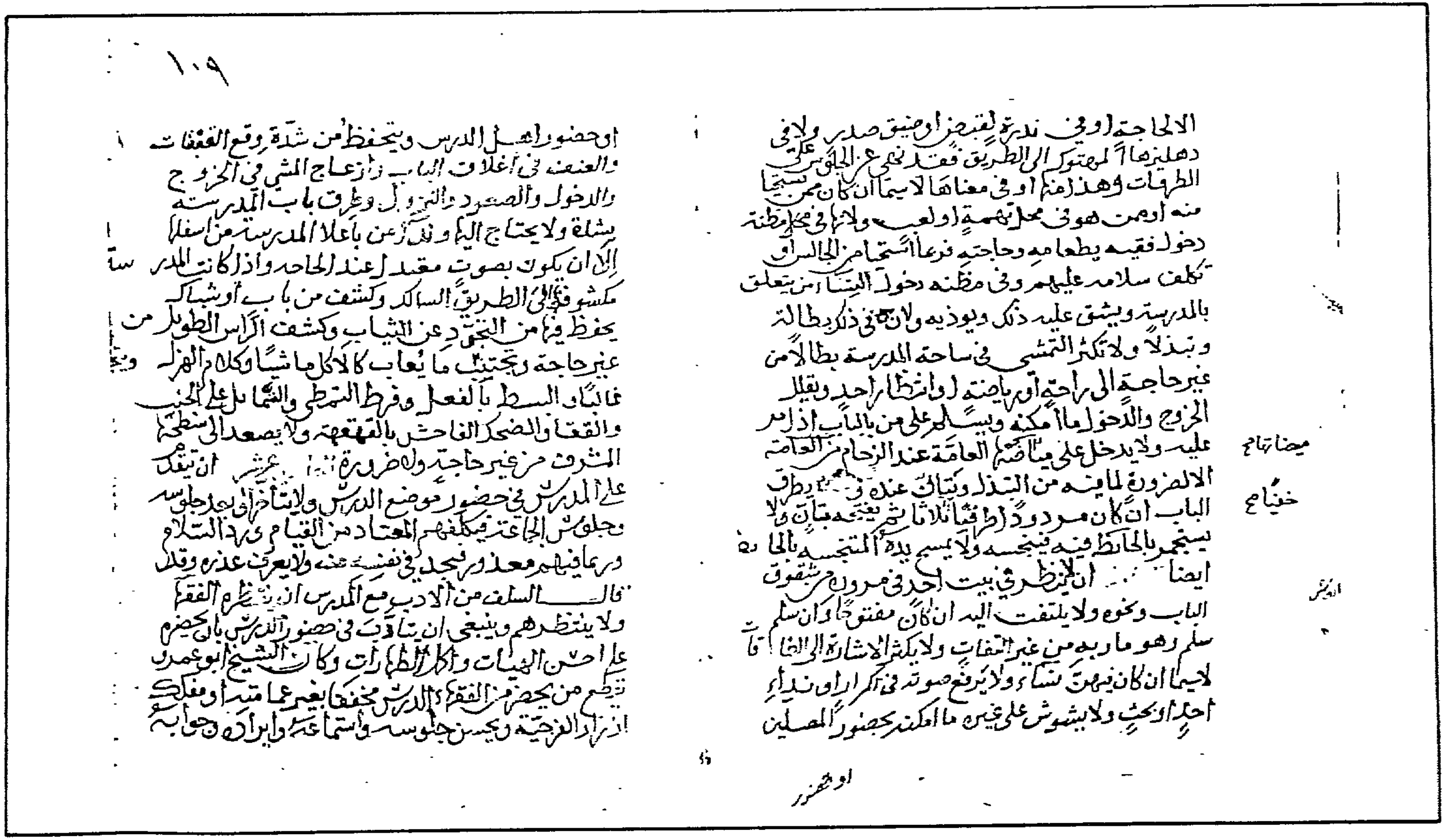
اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت
تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وتوفيقه
وكان الفراغ منه ليلة الست السابع عشر من
شهر ربيع الاول المبارك سنة الف وثلاثمائة
وثمانية عشر وفرغ المؤلف رحمه الله من جمعه
في رابع عشر ذي الحجة سنة اثنين وسبعين وستمائة
وانا اقول اللهم انفعنا بما كتبناه ووفقنا للعمل
به مع الاخلاص والمداومة والقبول ونسالك
ان تصلي على سيدنا محمد اشرف مخلوقاتك كما
تحب ان تصلي عليه وصلي على جميع الانبياء والمرسلين
وعلى اهل طاعتك اجمعين وارض عنا امين يا رب
العالمين والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا
على نعمه السابغة واشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله اللهم توفنا عليهما وابعثنا
عليهما يا اكرم المسئولين واوسع المعطين

بقلم الفقير الى ربه ...

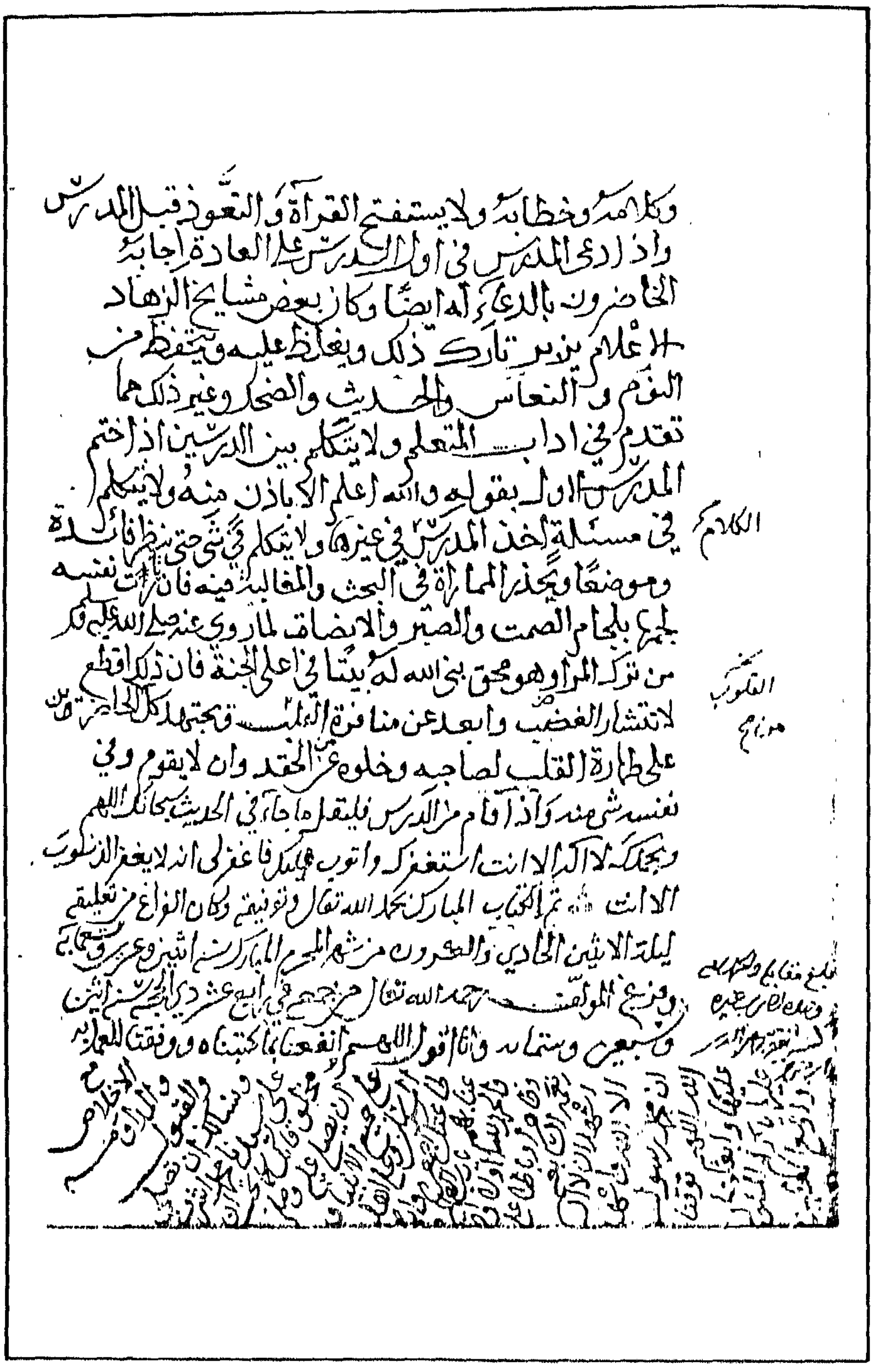
صورة عن الورقة الاخيرة لمخطوط الظاهرية



صورة عن الورقة الاولى لمخطوط حلب (ح)



صورة عن الورقة قبل الاخيرة لمخطوط حلب


وكلامه وخطابه ولا يستفتح القراءة والتعوذ قبل المدرس
واذا ادعى المدرس في اول الدرس على العادة اجابه
الحاضرون بالدعاء له ايضا وكان بعض مشايخ الزهاد
الاعلام يزبر تارك ذلك ويغلظ عليه ويتحفظ من
النوم والنعاس والحديث والضحك وغير ذلك مما
تقدم في اداب المتعلم ولا يتكلم بين الدرسين اذا ختم
المدرس الاول بقوله والله اعلم الا باذن منه ولا يتكلم
في مسئلة اخذ المدرس في غيرها ولا يتكلم في شيء حتى ينظر فائدة الكلام
وموضعا ويحذر المماراة في البحث والمغالبة فيه فان ثارت نفسه
لجمها بلجام الصمت والصبر والانصاف لما روي عنه صلى الله عليه وسلم
من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة فان ذلك اقطع
لانتشار الغضب وابعد عن منافرة القلوب ويجتهد كل الحاضرين
على طهارة القلب لصاحبه وخلوه من الحقد وان لا يقوم وفي
نفسه شيء منه واذا قام من الدرس فليقل ما جاء في الحديث سبحانك اللهم
وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وتوفيقه وكان الفراغ من تعليقه
ليلة الاثنين الحادي والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة [illegible]
وفرغ المؤلف رحمه الله تعالى من جمعه في رابع عشر ذي الحجة سنة اثنين
وسبعين وستمائة وانا اقول اللهم انفعنا بما كتبناه ووفقنا للعمل به

صورة عن الصفحة الاخيرة لمخطوط حلب (ح)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

(قال الشيخ الامام، القدوة العلّامة، قاضي القضاة، حاكم الحكّام، شيخ مشايخ الاسلام، ناصر الحق، عَلَم السنة، بدر الدين، بركة المسلمين، أبو عبد الله محمد ابن الشيخ العارف الزاهد القدوة برهان الدين بن اسحاق ابراهيم بن سعد الله ابن[1]. جماعة الكناني الشافعي، أدام الله أيامه وأعاد من بركاته)[2].

الحمد لله البر الرحيم، الواسع العليم، ذي الفضل العظيم؛ وأفضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد الكريم المنزل عليه في الذكر الحكيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[أ]، وعلى آله واصحابه الكرام وجواره في دار النعيم.

أما بعد فإن من أهم ما يبادر إليه اللبيب في[3] شرخ شبابه، ويذيب[4] نفسه في تحصيله واكتسابه، حسن الأدب الذي شهد الشرعُ والعقل بفضله، واتفقت الآراءُ والالسنةُ على شكر أهله. وإن أحقّ الناس بهذه الخصلة الجميلة، وأوْلاهم بحيازة هذه المرتبة

(١) ظ: ابن.

(٢) هـ: ما بين القوسين ساقط.

(٣) هـ: في، ساقطة.

(٤) هـ: يذئب.

(أ) القرآن، القلم: ٤.

الجليلة، أهل العلم الذين[1] حلّوا به ذروة المجد والسنا، وأحرزوا به قصَبات السبق إلى وراثة الأنبياء. لعلمهم بمكارم أخلاق النبي(ﷺ) وآدابه، وحسن سيرة الأئمة الأطهار من أهل بيته وأصحابه، وبما كان عليه أئمة علماء السلف واقتدى بهَدْيِهم فيه مشايخ الخَلَف.

قال ابن سيرين: كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم. وقال الحسن: إن كان الرجل ليخرج في أدب[2] يكسبه السنين ثم السنين.

وقال سفيان[3] بن عُيَيْنة: إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، وعليه تُعرضُ الأشياء على خلقه وَسيْرَته وهديه. فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل.

وقال حبيب ابن الشهيد لابنه: يا بنيَّ اصحب الفقهاء والعلماء وتعلّم منهم، وخذ من أدبهم، فإن ذلك أحب اليَّ من كثير من الحديث. وقال بعضهم لابنه: يا بني لأن تتعلم[4] باباً من الأدب أحبُّ اليَّ من أن تتعلم سبعين باباً من العلم. وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك: نحن إلى كثير من الأدب أحْوَج منا إلى كثير من الحديث. وقيل للشافعي رضي الله تعالى عنه: كيف شهوتك للأدب؟ فقال اسمع بالحرف منه ما لم اسمعه، فتود أعضائي[5] أن لها أسماعاً تتنعم[6] به. قيل وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة الضالة ولدها وليس لها غيره.

ولما بَلَغَتْ مرتبة[7] الأدب هذه المزية، وكانت مدارك مُفْضِلاته خفية، دعاني ما رأيته من احتياج الطلبة إليه، وعسر تكرار توقيفهم[8] عليه. إما لحياء فيمنعهم

---

(١) ح. ظ: الذي.
(٢) هـ: نفس زائدة.
(٣) ظ. ج: سفين.
(٤) ظ. هـ: تعلم.
(٥) ح: أعضاي.
(٦) هـ: فتنعم.
(٧) ظ: هـ: رتبة.
(٨) هـ: توقفهم.

الحضور، أو لجفاء[1] فيورثهم الفتور، إلى جمع هذا المختصر مذكّراً للعالم ما حصل[2] إليه، ومنبّهاً للطالب على ما يتعينً عليه، (٦٣/ح)، وما يشتركان فيه من الأدب. وما ينبغي سلوكه في مصاحبة الكتب. ثم أدب من يَسْكُن[3] المدارس منتهياً أو طالباً، لأنها مساكن طلبة[4] لعلم في هذه الأزمنة غالباً. وجمعت ذلك مما اتفق في المسموعات، أو سمعته من المشايخ السادات. أو مررت به في المطالعات، أو استفدته في المذاكرات. وذكرته محذوف الاسانيد والادلة كيلا يطول على مطالعه أو يملَّه. وقد جمعت فيه بحمد الله من تفاريق آداب هذه الأبواب ما لم أره مجموعاً في كتاب. وقدمت على ذلك باباً مختصراً في فضل العلم والعلماء على وجه التبرك والاقتداء، وقد رتّبته على خمسة أبواب تحيط بمقصود[5] الكتاب:

الباب الأول: في فضل العلم وأهله وشرف العلم ونبله[6].
الباب الثاني: في آداب العالم في نفسه ومع طلبته ودرسه.
الباب الثالث: في أدب المتعلم في نفسه ومع شيخه ورفقته ودرسه.
الباب الرابع: في مصاحبة الكتب، وما يتعلق بها من الأدب.
الباب الخامس: في آداب[7] سكنى المدارس، وما يتعلق بها من النفائس.

وقد سَمَّيْتُه: تَذْكِرَةُ السَامعِ والمتكلمِ، في أدب العالم والمتعلم. والله تعالى يوفقنا للعلم والعمل، ويبلغنا من رضوانه نهاية الأمل.

---

(١) ح: الجفاء.
(٢) ظ: جمع. ح: جعل.
(٣) هـ: سكن.
(٤) ظ: أهل.
(٥) ظ: تحيطه لمقصود.
(٦) هـ: ونسله.
(٧) ح. ظ: اداب، ساقطة.

الباب الأول

في

فضل العلم والعلماء

وفضل تعلم العلم وتعلمه

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ[أ]﴾. قال ابن عباس: العلماء فوق المؤمنين بسبع مائة درجة ما بين الدرجة والدرجة[1] مائة عام. وقال الله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلَّا هُوَ والملائكة[2] وَأُولُوا آلْعِلْم ِ﴾[ب] الآية[3]. بدأ سبحانه بنفسه وثنَّى بملائكته وثلَّث بأهل العلم. وكفاهم ذلك شرفاً وفضلاً وجلالةً ونبلاً. وقال الله تعالى: ﴿قل[4] هَلْ يَستوي الذِينَ يَعْلَمُونَ والذين لا يَعْلَمزُنَ[5]﴾[ج] وقال: ﴿فاسئَلُوا أَهْلَ الذِكْرِ إنْ كُنْتُم لا تَعْلَمون[د]﴾ وقال: ﴿وما يَعْقِلُها إلا العَالِمُون﴾[هـ]. وقال تعالى ﴿بَلْ هو آيات بيِّنات

(١) ح: ظ: الدرجتين.
(٢) ح: المريكة.
(٣) هـ: قائماً بالقسط زائدة.
(٤) ح. ظ: قل ساقط.
(٥) ظ: والذين لا يعلمون ساقطة.

(أ) القرآن: المجادلة/ ١٠.
(ب) القرآن: آل عمران/ ١٧.
(جـ) القرآن: الزمر/ ٨.
(د) القرآن: النحل/ ٤٢.
(هـ) القرآن: العنكبوت/ ٤٢.

في صُدُور الذين أُوتُوا العِلْمَ﴾(و). وقال تعالى: ﴿إنما يَخْشى الله من عبادِهِ العُلَمَاءُ﴾(ز). وقال: ﴿أُولئِكَ هُمْ خيرُ البريّةِ﴾ إلى قوله: ﴿ ذلك لمن خشي ربَّه﴾(ح). فاقْتَضَتْ الآيتان أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالى(والذين يخشون الله تعالى)(١) هم خير البرية، فينتج أن العلماء هم خير البريَّة.

وقال رسول الله (ﷺ): «من يُرِدِ الله به خيراً يفقِّهه في الدين». وعنه (ﷺ)(٢): «العلماء وَرَثَةُ الأنبياء». وحسبُكَ بهذه(٣) الدرجة مجداً وفخراً، وبهذه الرتبة شرفاً وذكراً، فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شَرفِ(٤) وارث تلك المَرْتبة. وعنه (ﷺ) لما ذكر عنده رجلان، أحدهما عابد والآخر عالم، فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». وعن (ﷺ): «من سَلَكَ طريقاً يطلب فيه علماً، سَلَكَ به طريقاً من طُرق الجَنَّة وان الملائكة(٥) لتضع اجنحتها لطالبِ العلمِ لرضى الله عنه. وإن العالِمَ لَيَستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتَان في جوف الماء. وان فضل العالم على العابد(٦) كفضل القمر لَيْلة البدر على سَائِر(٧) الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ».

واعلمْ أنْ لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة(٨) وغيرهم بالاستغفار

---

(١) ح. ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٢) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٣) هـ: هذه.
(٣) هـ: هذه.
(٤) ظ: شرف ساقطة.
(٥) ح: الملايكة.
(٦) ح: ساير.
(٧) ط: ما بين القوسين ساقط.
(٨) ح. ط: الملايكة.
(و) القرآن: العنكبوت/ ٤٨.
(ز) القرآن: فاطر/ ٢٧.
(ح) القرآن: البيّنة/ ٦.

والدعاء له، وتضع له أجنحتها، وإنه لينافس في دعاء الرجل الصالح أو من يطلب صَلاحَه، فكيف بدعاء الملائكة. وقد اختلف في معنى وضع[1] أجنحتها. فقيل: التواضع له. وقيل: النزول عنده والحضور معه. وقيل: التوقير والتعظيم له. وقيل: معناه تَحْمِلُه عليها فتُعينه على بلوغ مقاصده. وأما إلهام الحيوانات بالاستغفار لهم فقيل: لأنها خُلِقَتْ لمصالح العباد ومنافعهم، والعلماء هم الذين يبيّنون ما يُحلّ منها[2] وما يُحرَّم ويوصون بالاحسان إليها ونفي الضرر عنها. وعنه (ﷺ): «يُوزَن يوم القيامة[3] مدَادُ العلماء ودَمُ الشهداء». قال بعضهم: هذا مع أن أَغلى[4] ما للشهيد دَمه، وأدنى ما للعالم مَدَاده.

وعنه(ﷺ): ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولَفقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألفِ عابد. وعنه (ﷺ): «يتحمَّل هذا العلم من كل خَلَف عُدُولُهُ، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين». وفي حديث: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء[5]، ثم العلماء، ثم الشهداء». ورُويَ: «العلماء يوم القيامة على منابر من نور». ونقل القاضي حسين بن محمد (ر) في أول تعليقه، أنه رُوي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «من أحب العلم والعلماء لم يُكتب[6] عليه خطيئة أيام حياته». قال: ورُويَ عنه (ﷺ) قال: «من أكرم عالماً فكأنما أكرم سبعين نبياً، ومن أكرم متعلماً فكأنما أكرم سبعين شهيداً». وأنه[7] قال: «من صلى خلف عالم فكأنما صلى خَلْف نبي، ومن صلى خلف نبي فقد غُفِرَ له». ونقل الشرماحي المالكي في أول كتابه«نظم الدُّرَر» عن النبي(ﷺ): أنه[8] قال: «من عظَّم العالم

---

(١) ظ: وضع، ساقطة.

(٢) هـ: منه.

(٣) ح: ما بين القوسين مذكور في الحاشية.

(٤) هـ: أعلى.

(٥) ظ: الأنبياء ساقطة.

(٦) هـ: تكتب.

(٧) ح. ظ: وانه ساقطة.

(٨) ح. ظ: أنه ساقطة.

فكأنما يعظِّم الله تعالى، ومن تهاون بالعالم فانما ذلك استخفاف بالله تعالى وبرسوله». وقال علي (ر): «كفى بالعلم شرفاً أن يَدَّعيه من لا يُحسنه ويفرح إذا نُسِبَ إليه، وكفى بالجهل ذمّاً أن يتبرأ منه من هو فيه». وقال بعض السلف: خير المواهب[1] العقل وشر المصائب الجهل. وقال أبو مسلم الخولاني: العلماء في الارض مِثْلُ النجوم في السماء، إذ بَدَت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيَّروا. وقال أبو الأسوَد الدؤلي: ليس شيء أعزّ من العلم، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك. وقال وهبٌ: يَتَشَعَّبُ من العلم الشَّرفُ وإن كان صاحبه دنيّاً، والعِزُّ وإن كان مهيناً، والقُرْبُ وان كان قصيّاً، والغِنَى وإن كان فقيراً، والمَهابَة وإن كان وضيعاً. وعن معاذ (ر) تعلموا العِلَم فإن تَعلُّمه حَسَنَة وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وبذله قُرْبَة وتعليمه منْ لا يعلمه صَدَقَة. وقال الفُضيل بن عياض: عالم معلم يدعى كبيراً[2] في ملكوت السموات والارض. وقال سفيان[3] بن عُيَيْنَة: أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء. وقال أيضاً: لم يُعْطِ الله[4] أحداً في الدنيا شيئاً أفضل من النبوة، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقه، فقيل عَمَّنْ هذا؟ قال: عن العلماء الفقهاء كلهم. وقال سَهْل: من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلْيَنْظُر إلى مجالس العلماء، فاعرفوا لهم ذلك. وقال الشافعي (ر): ان لم يكن الفقهاء العالمون[5] أولياء الله فليس لله ولي. وعن ابن عُمَر(ر): مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة. وعن سفيان[6] الثوري والشافعي(ر): ليس بعض الفرائض أفضل من طلب العلم. وعن الزُّهري: ما عُبِدَ الله بمثل الفقه. وعن ابي درّ وأبي هُرَيْرَة (ر) قالا: باب من العلم نتعلمه أحب الينا من ألف ركعة تطوعاً، وباب من العلم

---

(١) ح. ظ: المذاهب.
(٢) هـ: كثيراً.
(٣) ح. ظ: سفين.
(٤) هـ: لفظة الله. ساقطة.
(٥) ح. هـ: العاملون.
(٦) ح. ظ: سفين.

يَعْلَمه[1]) عُمل به أو لم[2]) يُعْمَل به[3]، أحبّ إلينا من مِئَة ركعة تطوعاً. وقد ظهر بمّا قلناه[4] أن الاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادات البدنية، من صلاةٍ وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك. وذلك[5] لأن نفع العلم يعُمُّ صاحبه والناس. والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها. ولأن العلم مُصحِّح[6] لغيره من العبادات، فهي تفتقر اليه وتتوقف عليه ولا يتوقف هو عليها. (ولأن العلماء ورثة الأنبياء وليس ذلك للمتعبدين [7]، ولأن طاعة العالم واجبة على غيره فيه، ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه، وغيره من النوافل ينقطع [8] بموت صاحبها. ولأن في بقاء العام إحياء للشريعة[10] وحفظ معالم الملّة.

«فصل» [في النيّة]

واعلم أن جميع ما ذُكِرَ من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين، الذين قصدوا به وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم. لا من طلبه بسوء نِيَّة أو خبث طويَّة أو لأغراض دُنْيَوِيَّة من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلاب. فقد روي عن النبي(ﷺ): «من طلب العلم[11] لِيُماري به السفهاء أو يكاثر به العلماء، أو يعرف[12] به وجوه الناس اليه أدخله الله النار» أخرجه

---

(١) هـ: نعلمه.
(٢) ح: إذ.
(٣) ح. ظ: به ساقطة.
(٤) هـ: ذكرناه.
(٥) ظ: بالله.
(٦) هـ: وذلك ساقطة.
(٧) ح. ظ: منجح ومصحح في الحاشية.
(٨) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٩) هـ: تنقطع.
(١٠) هـ: الشريعة.
(١١) ط: العلم ساقطة.
(١٢) ح. ظ: يصرف.

الترمذي). وعنه (ﷺ): «من تعلم علماً لغير الله أو أراد غير وجه الله، فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدة من النار» (رواه الترمذي).

ورُوي: من تعلَّم علماً مما يُبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً[١] من الدنيا، لم يجد عرْف الجنة يوم القيمة (أخرجه أبو داود). وعن أبي هريرة (ر) عن النبي (ﷺ): «إن أول الناسِ يقضى عليه يوم القيامة وذَكَر الثلاثة، وفيه رجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به فَعَرَّفَه نعمة فَعَرَفَها، قال عملت فيها؟ قال: تعلَّمت منك[٢] العلم وعلَّمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكن تعلمت ليُقال عالم، وقرأت ليُقال قارىء. فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار» (أخرجه مسلم والنسائي). وعن حماد بن سَلَمَة: من طلب الحديث لغير الله تعالى كذَّبه[٣]. وعن بِشْر؛ أوحى الله الى داود[٤]: ولا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً فيصدّكَ[٥] بشكره[٦] عن محبتي، أولئك قطّاع الطريق على عبادي.

---

(١) ح. ظ: عرضاً.
(٢) ح. ظ: فيك.
(٣) هـ: مكر به.
(٤) هـ: و: ساقطة.
(٥) ح. ظ: فبعدك.
(٦) هـ: بشك.

البَابُ الثَانِي

في أدبِ العَالِم
في نفسهِ ومَراعاةِ طالبهِ ودرسهِ

الفصل الأول : في آدابه في نفسه .

الفصل الثاني : في آداب العالم في درسه .

الفصل الثالث : في أدب العالم مع طلبته مُطْلَقاً وفي حلقته

الفصل الأول

في آدابه في نفسه

وهو اثنا عشر نوعاً

وفيه ثلاثة فصول:

الأول: دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلانية[١]، والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، فإنه أمين على ما أُودع من العلوم[٢] وما مُنح من الحواس والفهوم.

قال الله تعالى: ﴿لا تَخُونوا الله والرسول وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنتم تَعْلَمُون﴾[أ]. وقال تعالى ﴿بما اسْتحفظُوا من كتاب الله وكَانُوا عليه شُهَداءَ فلا تَخْشوا الناسَ وَاخْشَونِ﴾[ب]. قال الشافعي: ليس العلم ما حُفظ، العلم ما نَفَعَ. ومن ذلك: دوام السكينة والوقار والخشوع والورع والتواضع لله والخضوع.

ومما[٣] كتب مالك إلى الرشيد: إذا علمت علماً فَلْيُرَ[٤] عليك أثره وسَكينته وسِمَته

---

(١) هـ: العلن.

(٢) ظ: العلم.

(٣) هـ: ما.

(٤) ظ: فليرا.

(أ) القرآن: الأنفال/ ٢٦

(ب) القرآن: المائدة/ ٤٣.

ووقـاره وحلمه، لقـوله (ﷺ): العلماء ورثـة الأنبياء. وقـال عُمـر (ر): تعلَّمـوا العلم وتعلَّموا له السكينة والوقار وعن السلف: حق على العالم أن يتواضع لله في سره وعلانيته، ويحترس من نفسه ويقف عمّا أشكل عليه[1]

الثاني: أن يصون العلم كما صانه علماء السلف. ويقوم لـه بما جعله الله تعـالى له من العزة والشرف، فلا يذُلُّه بذهابه ومشيه إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة ولا حاجة، أو إلى من يتعلمه منه منهم وإن عظُم شأنه وكَبُر قدْره. قال الزهري: هوان بالعلم أن يحمله العالم إلى بيت المتعلم. وأحاديث السلف في هذا النوع كثيرة. وقد أحسن القائل وهو القاضي[2] عبدالوهاب المالكي أبو شجاع[3] الجرجاني:

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأُخدما
أأشقى بـه غـرسـاً وأجنيـه ذلَّـةً إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولـو عظَّمـوه في النفـوس لَعُـظِّمَا

فإن دعت الحاجة الى ذلك أو ضرورة، أو اقتضته مصلحة دينية راجحة على مفسده[4] بَـذْلَه وحسُنتْ فيه نيَّة صالحة، فلا بأس به إن شاء الله تعالى.

وعلى هذا يُحْمل ما جاء عن بعض أئمة السلف في[5] المشي إلى الملوك وولاة الأمر كالزهري والشافعي وغيرهما. لا على أنهم قصدوا بذلك فضول الأغراض[6] الدنيوية وكذلك إذا كان المأتي إليه من العلم والزهد في المنزلة العَليَّة والمحل الرفيع فلا بأس بالتردد إليه لإفادته. فقد كان سفيان الثوري يمشي إلى إبراهيم بن أدهم

---

(١) ح. ظ: عليه ساقطة.
(٢) هـ: القاضي ساقطة.
(٣) ظ. هـ: أبو شجاع. ساقطة.
(٤) ح. ظ: مفيده.
(٥) هـ: من.
(٦) ح. ظ: الأعراض.

ويفيده وكان أبو عبيد يمشي الى علي بن المديني يُسْمِعه غريب الحديث.

الثالث: أن يَتخلَّق بالزهد في الدنيا والتقلل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله، فإن ما يحتاج إليه لذلك على الوجه المعتدل من القناعة، ليس يُعدُّ من الدنيا، وأقل درجات العالم أن يستقذر التعلق بالدنيا، لأنه أعلم الناس بخسّتها وفتنتها وسرعة زوالها وكثرة تعبها ونصبها، فهو أحق بعدم الالتفات إليها[1] والاشتغال بهمومها. وعن الشافعي رضي الله عنه: لو أوصى لأعقل[2] الناس صرف إلى الزهاد، فليت شعري من أحق من العلماء بزيادة العقل وكماله.

وقال يحيى بن معاذ: لو كانت الدنيا تبْراً يفنى والآخرة خزفاً يبقى، لكان ينبغي للعاقل إيثار الخزف الباقي على التبر الفاني، فكيف والدنيا خزف فاني والآخرة تبر باقي[3].

الرابع: أن ينزِّه[4] علمه عن جعْلِه سُلَّماً يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة أو تقدم على أقرانه. وقال[5] الامام الشافعي (ر): وددت أنَّ الخلق تعلَّموا هذا العلم على ألَّا ينسب إليَّ حرف منه. وكذلك يُنزّهه عن الطمع في رفق من طلبته، بمال أو خدمة أو غيرهما بسبب اشتغالهم عليه وترددهم اليه. كان منصور لا يستعين بأحد يختلف اليه في حاجة. وقال سفيان[6] بن عييْنَة: كنت قد أُوتيت فهم القرآن، فلما قَبِلْت الصرَّة من أبي جعفر سُلبتُه، نسأل[7] الله المسامحة.

الخامس: أن يُنزّهه عن دنيّ المكاسب ورذيلها طبعاً، وعن مكروهها عادة

---

(١) ظ: إليها ساقطة.
(٢) هـ: إلى أعقل.
(٣) هـ: باق.
(٤) ظ: ينزل.
(٥) ح. هـ: الواو ساقطة.
(٦) ح. ظ: سفين.
(٧) هـ: فنسأل.

وشرعاً: كالحجامة والدباغة والصرف والصياغة. وكذلك يَجْتَنِب[١] مواضع التهم وإن بعدت، فلا يفعل شيئاً يتضمن نقص مروءة أو ما يُسْتنكر ظاهراً وإن كان جائزاً باطناً، فإنه يعرض نفسه للتهمة وعرضه للوقيعة، ويوقع الناس في الظنون المكروهة وتأثيم الوقيعة. فإن اتفق وقوع شيء من ذلك منه لحاجة أو نحوها أخبر من يشاهده بحكمة[٢] بعذره ومقصوده كيلا يأثم بسببه أو ينفر عنه، ولا ينتفع بعمله وليستفيد ذلك الجاهل به. ولذلك قال النبي (ﷺ) للرجلين لما رأياه يتحدث مع صفيَّة: فَوَلَّيا على رِسْلكما إنها صفية. ثم قال: إن الشيطان يجري مع[٣] ابن آدم مجرى الدم، فخفت أن يقذف في قلوبكما شيئاً، ورُوي[٤]: فتهلكا.

السادِس: أن يُحافِظَ على القيام بشعائر الاسلام وظواهر[٥] الأحكام، كإقامة الصلوات في المساجد للجماعات[٦] وإفشاء السلام[٧] للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى، بسبب ذلك صادعاً بالحق عند السلاطين، باذلاً نفسه لله لا يخاف فيه لوْمَةَ لائم، ذاكراً قوله تعالى: ﴿واصْبرْ على ما أصَابَكَ إنَّ ذلك من[٨] عزم الأُمور﴾[أ] وما كان سيدنا رسول الله (ﷺ) وغيره من الأنبياء عليه من الصبر على الأذى، أو ما كانوا يتحمَّلونه في الله تعالى حتى كانت لهم العقبى. وكذلك القيام بإظهار السنن[٩] وإهمال البدع، والقيـام لله تعالى في أمور

---

(١) هـ: يتجنب.
(٢) هـ: بحلمه.
(٣) ح. ظ: من.
(٤) هـ: أو قال. چ
(٥) هـ: طواهر.
(٦) ح. ظ: مساجد الجماعات.
(٧) ظ: إنشاء.
(٨) هـ: من.
(٩) ظ: السنين. هـ: السين

(أ) سورة لقمان: الاية ١٧.

الدين وما فيه مصالح المسلمين على الطريق المشروع والمسلك المطبوع مجتهداً. ولا يرضى من أفعاله الباطنة والظاهرة بالجائز منها، بل يأخذ نفسه بأحسنها وأكملها، فإن العلماء هم القدوة وإليهم المرجع في الأحكام، وهم حجة الله تعالى، على العوام. وقد يراقبهم للأخذ[1] عنهم من لا ينظرون، ويقتدي بهديهم من لا يعلمون. وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد من الانتفاع به. كما قال الشافعي: ليس العلم ما حُفظ، العلم ما نفع، ولهذا عظُمَت زلَّة العالم لما يترتب عليها من المفاسد لاقتداء الناس به.

السابع: أن يحافظ على الندوبات الشرعية القولية والفعلية. فيلازم تلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالقلب واللسان. كذلك ما ورد من الدعوات والأذكار في آناء الليل وأطراف[2] النهار من نوافل العبادات من الصلاة والصيام وحج البيت الحرام، والصلاة على النبي ﷺ. فإن محبته وإجلاله وتعظيمه واجب، والأدب عند سماع اسمه وذكر سنَّته مطلوب، (وسننه)[3]. كان مالك (ر) إذا ذُكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني. وكان جعفر بن محمد إذا ذكر النبي ﷺ عنده اصفرَّ لونه. وكان ابن القاسم إذا ذكر النبي ﷺ يَجفُّ لسانه في فيه هيبةً لرسول الله ﷺ.

وينبغي له إذا تلا[4] القرآن أن يتفكر في معانيه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده، والوقوف عند حدوده، وليحذر من نسيانه بعد حفظه. فقد ورد في الأخبار النبوية ما يزجر عن ذلك، والأولى أن يكون له منه في كل يوم[5] وِرْد راتب[6]، (لا يخلُّ به فإن غلب عليه فيوم. فإن عجز ففي ليلتي الثلاثاء والجمعة لاعتياد بطالة الاشتغال فيهما. وقراءة القرآن في كل سبعة أيام(لم ينسه قط)[7] [8]، ورد في الحديث

---

(١) ح. ظ: الأخذ.

(٢) هـ: أطراف ساقطة.

(٣) هـ: وسنة.

(٤) ظ: أن أتلي.

(٥) ظ. ح: يوم ساقط.

(٦) ظ: راتب ساقطة.

(٧) هـ: ورد حن. ح: وِرْدٌ حَسَن.

(٨) ظ: ما بين القوسين ساقط.

وعمل به احمد بن حنبل. وقال: من قرأ القرآن في كل سبعة أيام لم ينسه قط.

الثامن: معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإفشاء السلام وإطعام الطعام وكَظْمِ الغيظ، وكَفِّ الأذى عن الناس واحتماله منهم، والإيثار وترك الاستيثار، والإنصاف وترك الاستنصاف، وشكر التفضيل وإيجاد[1] الراحة، والسعي في قضاء الحاجات وبذل الجاه في الشفاعات، والتلطف بالفقراء والتحبب إلى الجيران والأقرباء، والرفق بالطلبة وإعانتهم وبِرّهم كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وإذا رأى من لا يقيم[2] صلاته أو طهارته وشيئاً[3] من الواجبات عليه أرشده بتلطف ورفق كما فعل رسول الله ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد، ومع معاوية ابن الحكم لما تكلّم في الصلاة.

التاسع: أن يُطِهِّر[4] باطنه وظاهره من الأخلاق الرديَّة، ويَعْمُرَه بالأخلاق الرضيَّة[5]. فمن الأخلاق الردية الغلُّ والحسد والبَغْي والغضب لغير الله تعالى، والغش والكِبرُ والرياء والعجب[6] والسمعة والبخل والخبث والبطر، والطمع والفخر والخيلاء والتنافس في الدنيا والمباهاة بها، والمداهنة والتزيين للناس وحب المدح بما لم يفعل، والعَمى عن عيوب النفس والاشتغال عنها بعيوب الخَلْق، والحَمِيَّة والعَصَبِيَّة لغير الله تعالى والرغبة والرهبة لغيره[7]، والغيبة والنميمة والبهتان والكذب والفحش في القول، واحتقار الناس ولو كانوا دونه. فالحَذَر الحَذَر من هذه الصفات الخبيثة والأخلاق الرذيلة فإنها باب كل شر بل هي الشر كلُّه. وقد بُلِيَ بعض أصحاب النفوس الخبيثة من فقهاء الزمان بكثير من هذه الصفات إلا من عَصَمَ الله، ولا سيما

(١) ح. ظ: اتحاد.
(٢) ح. ظ: يتم.
(٣) ح. ظ: شياء.
(٤) ظ: يظهر.
(٥) هـ: المرضية.
(٦) ظ: والغي.
(٧) هـ: لغير الله.

الحسد والعجب والرياء[1]، واحتقار الناس ، وأدوية هذه البَلِيَّة مستوفاة في كتب الرقائق. (مثل«منهاج العابدين» وكتاب «الأربعين»«وإحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، «وقوت القلوب» لأبي طالب المكي، «والرعاية» للحارث بن أسد المحاسبي (ر)[2]. فمن أراد تطهير نفسه منها فعليه بتلك الكتب ومن أنفعها كتاب «الرعاية» للمحاسبي (ر). ومن[3] أدوية الحسد الفكْر[4] بأنه اعتراض على الله في حكمته المقتضية تخصيص المحسود بالنعمة، كما قال الشاعر العربي (ر).

فإن تغضبوا من قسمة الله بيننا فلله إذ لم يرضكم كان أبصرا

مع ما فيه من الهم وتعب القلب وتعذيبه بما لاضرر فيه على المحسود.

ومن أدوية العَجَب يذكر أن علمه[5] وفهمه وجودة ذهنه وفصاحته وغير ذلك من النعم، وفضل[6] من الله عليه وأمانه عنده ليرعاها حق رعايتها، وأن معطيه إيَّاها قادر على سلبها منه في طرفة عين كما سَلَبَ بلعام ما عَلِمَه[7] في طرفة عين. وما ذلك على الله بعزيز (أفأمنوا مكر الله).

ومن أدوية الرياء الفكر بأن الخلق كلهم لا يقدرون على نفعه بما لم يقضه الله له، ولا على ضيره[8] بما لم يقدره الله تعالى عليه، فلم يحبط عمله[9] ويضرّ دينه ويشْغلْ نفسه بمرعاة من لا يملك له في الحقيقة نفعاً ولا ضرّا. مع أن الله تعالى يُطْلِعُهم على نيته وقبح سريرته كما صحَّ في الحديث: «من سَمِعَ سمّع الله به، ومن رأى رأى الله به» ومن أدوية احتقار الناس تدبر قوله تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قومٌ منْ قوْمٍ عَسَىَ أنْ

(١) هـ: والرثاء.

(٢) هـ: ما بين القوسين ساقط.

(٣) هـ: يقال زائدة.

(٤) ظ: الكفر.

(٥) ح. ظ: عمله.

(٦) ح. ظ: الواو ساقطة.

(٧) ظ: عمله.

(٨) ظ: ضره.

(٩) ح. ظ: علمه.

يَكُونُوا خَيْراً منهم، ولا نِسَاءٌ من نِساءٍ عسى أن يَكُنَّ خيراً منْهُنَّ﴾(أ) الآية. ﴿إنَّا خَلَقْناكُم منْ ذَكَرٍ وأُنثى إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ﴾(ب). ﴿ولا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هوَ أَعْلَم بِمَنْ اتَّقى﴾(ج). وربما كان المُحْتَقَر أطهر عند الله قلباً وأزكى عملاً وأخلَصَ نيَّة كما قيل: إن الله اخفى ثلاثة في ثلاثة - وَلِيَّه في عباده، ورضاه في طاعته، وغضبه في معاصيه. ومن الأخلاق المرضية دوام التوبة والإخلاص واليقين والتقوى والصبر والرضا والقناعة والزهد والتوكل والتفويض، وسلامة الباطن وحسن الظن والتجاوز، وحسن الخلق ورؤية الإحسان وشكر النعمة والشفقة على خلق الله تعالى، والحياء من الله ومن الناس ومحبة الله تعالى هي الخصلة الجامعة لمحاسن الصفات كلها. وإنما يتحقق(١) بمتابعة الرسول ﷺ: ﴿قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُم الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم﴾(د).

العاشر: دوام الحرص على الازدياد بملازمة الجد والاجتهاد والمواظبة على وظائف الأوراد من العبادة والاشتغال، والاشغال(٢) قراءة وإقراءً، ومطالعةً وفكراً وتعليقاً وحفظاً وتصنيفاً وبحثاً، ولا يضيِّع شيئاً من أوقات عُمُرِه في غير ما هو بصدده من العلم والعمل، إلاَّ بقدر الضرورة من أكلٍ أو شربٍ أو نومٍ أو استراحة لملل أو أداء حق زوجة أو زائر(٣)، وتحصيل قوته(٤) وغيره مما يحتاج إليه، أو لِألَمٍ أو غيره مما يتعذر معه الاشتغال، فإن بقية عمر المؤمن لا قيمة له. ومن استوى يوماه فهو مغبون. وكان بعضهم لا يترك الاشتغال لعروض مرضٍ أو ألمٍ لطيف بل كان

---

(١) هـ: تتحقق.

(٢) ح. ظ: والاشغال ساقطة.

(٣) ح. ظ: أو.

(٤) هـ: قوت.

(أ) القرآن: الحجرات/ ١٠.

(ب) القرآن: الحجرات/ ١٢.

(جـ) القرآن: النجم/ ٣١.

(د) القرآن: آل عمران/ ٣٠.

يُسْتَشْفَى بالعلم ويشتغل[1] بقدْر الإمكان، كما قيل:

إذا مـرضنـا تـداوينـا بـذِكـركـمُ ونـترك الـذكـر أحيـانـاً[2] فننتـكس

وذلـك لأن درجة العلم درجـة وراثة[3] الأنبيـاء، ولا تُنال المعـالي إلا بشقِّ الأنفس، وفي صحيح مسلم عن يحيى بن[4] كثير قال: لا يُستطاع العلم بـراحة الجسم. وفي الحديث: حُفَّتْ الجنة بالمكاره. وكما قيل: لا بد دون الشهد من إبر النحل. وكما قيل[5]:

لا تحسب المجدَ تمراً أنت آكله لا تبْلغ المجد حتى تلْعقَ الصبرا

وقال الشافعي (ر): حق عـلى طلبة العلم بلوغ غـاية جهـدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النيَّة لله تعالى في إدراك علمه نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه. وقال الربيـع: لم أرَ الشافعي (ر) آكلاً بنهار ولا نائماً بليل لاشتغاله بالتصنيف. ومع ذلك فلا يُحمِّل نفسه فوق طاقتها كي لا تسأم وتملّ، فربما نَفرت نفْرةً لا يمكنه تداركها، بل يكون أمره في ذلك قصداً، وكل انسان أبصر بنفسه.

الحادي عشر: أن لا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هن دونه مَنْصِباً أو نَسَباً أو سِنّاً، بل ويكون حريصاً على الفائدة حيث كانت. والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها. قال سعيد بن جبير: لا يزال الرجل عالماً ما تعلَّم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون. وأنشد بعض العرب:

وليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل

---

(١) هـ: ويشغل.

(٢) هـ: إخلالاً.

(٣) ح: ورثاء.

(٤) ح. ظ: أبي.

(٥) هـ: ساقطة.

وكانت[1] جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم. قال الحُمَيدي وهو تلميذ الشافعي: صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت أستفيد منه المسائل وكان يستفيد مني الحديث. وقال أحمد بن حنبل: قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا صحَّ عندكم الحديث فقولوا[2] لنا حتى آخذ به. وصح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين، وأبلغ من ذلك كله قراءة رسول الله ﷺ على أُبَيّ، وقال أمرني الله أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الذين كفروا﴾ وقالوا[3] من فوائده ألاَّ يمتنع الفاضل من الأخذ عن المفضول.

الثاني عشر: الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف، لكن مع تمام الفضيلة وكمال الأهلية. فإنه يطَّلع على حقائق[4] الفنون ودقائق العلوم للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب[5] والمراجعة. وهو كما قال الخطيب البغدادي: يُثَبِّتُ الحفظ ويذكي القلب ويشحذ الطبع ويجيد البيان ويُكْسِب جميل الذكر وجزيل الأجر ويخلِّده إلى آخر الدهر. والأوْلى أن يعتني بما يعُمُّ نفعه وتَكْثُر الحاجة إليه، ولْيَكُنْ اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه متحرياً إيضاح العبارة في تأليفه، معرضاً عن التطويل الممل والإيجاز المخل، مع إعطاء كل مُصَنَّف ما يليق به. ولا يخرج تصنيفه من يده قبل تهذيبه وتكرير النظر فيه وترتيبه ومن الناس من يُنْكِر[6] التصنيف والتأليف في هذا الزمان على من ظهرت أهليته، وعُرِفَت معرفته ولا وجه لهذا الإنكار إلا التنافس من[7] أهل الأعصار. وإلا فَمَن إذا تصرف في مداده وورقه بكتابة ما شاء من أشعار أو[8] حكايات مباحة أو غير ذلك لا يُنْكر عليه. فلِمَ اذا تصرف فيه بتسويد ما ينتفع به

---

(١) (جـ): هـ: كان.

(٢) ح. ظ: فقوا.

(٣) هـ: الواو ساقطة.

(٤) خ: حقايق، دقايق وهذا هو الحال دائماً في (ح) ما يشابه هذه الكلمة دون همزة.

(٥) ظ: والتنقيا.

(٦) هـ: من زائدة.

(٧) هـ: بين.

(٨) هـ: و.

من علوم الشريعة يُنْكر ويُسْتَهجَن[1]. أما من لم يتأهل لذلك فالانكار عليه نتيجة[2] لما يتضمنه من الجهل وتغرير[3] من يقف على ذلك التصنيف به، ولكونه يضيع زمانه فيما لا[4] يتقنه ويدع الإتقان الذي هو أحرى به منه.

---

(١) ح. ظ: تستمحن.

(٢) ح. ظ: متجّه.

(٣) هـ: وتقرير.

(٤) هـ: لم.

الفَصل الثَاني

في آداب[1] العَالم في درسه

وفيه اثنا عشر نوعاً:

الأول: إذا عزم على مجلس التدريس، تَطهَّر من الحَدَثِ والخُبث وتنظَّف وتطيَّب ولَبِس من أحْسَن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه، قاصداً بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة. كان مالك رضي الله عنه إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً، ووضع رداءه[2] على رأسه ثم يجلس على منصة[3] فلا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ، وقال: أُحِبُّ أن أعظِّم حديث رسول الله ﷺ ثم يصلي ركعتي الاستخارة إن لم يكن وقت كراهة، وينوي نشر العلم وتعليمه وبث الفوائد الشرعية، وتبليغ أحكام الله تعالى التي ائتمن عليها وأمر بتبيانها[4]، والازدياد من العلم، وإظهار الصواب والرجوع إلى الحق والاجتماع على ذكر الله تعالى، والسلام على إخوانه المسلمين والدعاء[5] للسلف الصالحين.

الثاني: إذا خرج من بيته دعا بالدعاء الصحيح عن النبي

(١) ظ: أدب.
(٢) ح. ظ: زائدة.
(٣) ح. ظ: منصبه.
(٤) هـ: ببيانها.
(٥) هـ: للمسلين زائدة.

ﷺ وهو: اللهم إني أعوذ بك أن أظلم أو أُظْلَم[1] أو أزِلّ أو أُزَلّ أو أجْهَل أو يُجْهل عليّ، عز جارك وجلّ ثناؤك ولا إله غيرك. ثم يقول: باسم الله وبالله حسبي الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. اللهُمَّ ثَبِّت جناني وأدر الحق على لساني ويديم ذكر الله تعالى إلى أن يصل إلى مجلس التدريس، فإذا وصل إليه يُسَلِّم على من حضر وسلم، وصلى ركعتين إن لم يكن وقت كراهة، فإن كان مسجداً تأكدت الصلاة[2] مطلقاً، ثم يدعو الله تعالى بالتوفيق والإعانة والعُصْمة، ويجلس مستقبل القبلة إن أمكن بوقار وسكينة وتواضع وخشوع متربعاً، أوغير ذلك مما لا يُكره[3] من الجلسات. ولا يجلس مقْعياً ولا مستوفزاً ولا رافعاً إحدى رجليه على الأخرى، ولا ماداً رجليه أو إحداهما من غير عذر، ولا متكئاً[4] على يده إلى جنبه أو[5] وراء ظهره. وليصن بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه، ويديه عن العبث والتشبيك بها، وعينيه عن تفريق النظر من غير حاجة، ويتقي المزاح وكثرة الضحك فإنه يقلل الهيبة ويُسْقط الحشمة، كما قيل: من مزح استُخِفّ به ومن أكثر من شيء عُرف به. ولا يدرس في وقت جوعه ولا[6] عطشه أو هَمِّهِ أو غضبه أو نعاسه أو قلقه، ولا في حال برده المؤلم ولا[7] حرَّه المزعج، فربما أجاب أو أفتى بغير الصواب، ولأنه لا يتمكن[8] مع ذلك من استيفاء النظر.

الثالث: أن يجلس بارزاً لجميع الحاضرين، ويوقّر فاضلهم بالعلم والسن والصلاح والشرف، ويرفعهم على حسب تقديمهم في الإمامة[9]، ويتلطف بالباقين

---

(١) هـ. ح: أذل.
(٢) ح. ظ: لفظة الصلاة ساقطة.
(٣) ظ: يكن.
(٤) ظ: متكياً.
(٥) هـ: أو ساقطة.
(٦) ح. ظ: أو.
(٧) ظ: لا زائدة.
(٨) ظ: من.
(٩) ح. ظ: الأمانة.

ويُكرمهم، ويُحسن[1] السلام وطلاقة الوجه ومزيد الاحترام. ولا يكْره القيام لأكابر أهل الإسلام على سبيل الإكرام.

وقد ورد إكرام العلماء وإكرام طلبة العلم في نصوص كثيرة. ويلتفت إلى الحاضرين التفاتاً قصداً بحسب الحاجة. ويخص من يكلمه أو يسأله أو يبحث معه على الوجه عند ذلك بمزيد التفاتٍ إليه واقبالٍ عليه وإن كان صغيراً أو وضيعاً، فإن ترك ذلك من أعمال[2] المتجبرين المتكبرين.

الرابع: أن يُقدِّم على الشروع في البحث والتدريس قراءة شيء من كتاب الله تعالى تبركاً وتيمناً كما هو العادة، فإن كان ذلك في مدرسة شرط فيها ذلك اتبع الشرط، ويدعو عقيْب القراءة لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين. ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويسمي الله تعالى ويحمده ويصلي على النبي ﷺ وعلى آله وأصحابه، ويترضى عن أئمة المسلمين ومشايخه ويدعو لنفسه وللحاضرين ووالديهم أجمعين، وعن واقف مكانه إن كان في مدرسة أو نحوها، جزاء لحسن فعله وتحصيلاً لقصده.

وكان بعضهم يؤخر ذكر نفسه في الدعاء عن الحاضرين تأدباً وتواضعاً، لكن الدعاء لنفسه قُرْبَة وبه اليه حاجة والإيثار بالقرب وما يحتاج إليه شرعاً خلاف المشروع ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكم وأَهليكُم ناراً﴾[أ]. وقال النبي ﷺ ابدأ بنفسك ثم بمن تعول. وهذا الحديث وإن ورد في الإنفاق، فالمحققون[3] يستعملونه في أمور الآخرة. وعلى الجملة[4] فالكل حسن. وقد عمل بالأول قوم، وبالثاني آخرون.

---

(١) هـ: بحسن.

(٢) هـ: أفعال.

(٣) ح. ظ: والمحققون.

(٤) ظ: على الجملة ساقطة. ح: بالجملة.

(أ) سورة التحريم: الآية ٥.

الخامس: إذا تعددت الدروس قُدِّم الأشرف فالأشرف، والأهم فالأهم. فيُقدَّم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب، ثم الخلاف ثم[1] النحو أو الجدل. وكان بعض العلماء الزهّاد يختم الدروس بدروس رقائق الأخبار[2] فيفيد[3] به الحاضرين. تطهير الباطن ونحو ذلك من عِظَّةٍ ورقَّة وزُهدٍ وصبر، فإن كان في مدرسةٍ وَلِواقِفها في الدروس شرط اتَّبعه، ولا يُخْل بما هو أهم ما بينت له تلك البيِّنة، ووقفت لأجله.

ويصل في درسه ما ينبغي وصله ويقف في مواضع الوقف ومنقطع الكلام. ولا يذكر شبهة في الدين في درس يؤخّر[4] الجواب عنها إلى درس آخر، بل يذكرها[5] جميعاً، ولا يتقيد في ذلك بمصنَّف يلزم منه تأخير جواب الشبهة عنها لما فيها من المفسدة[6]، لا سيما إذا كان الدرس يجمع الخواص والعوام.

وينبغي أن لا يطيل الدرس تطويلاً يُملُّ، ولا يقصّره تقصيراً يُخلّ. ويُراعي[7] في ذلك مصلحة الحاضرين في[8] الفائدة والتطويل، ولا يبحث في مقام أو يتكلم على فائدة إلا في موضع ذلك، فلا يقدّمه عليه ولا يؤخّره عنه إلا لمصلحة تقتضي ذلك وترجِّحه.

السادس: ألّا يرفع صوته زائداً على قدر الحاجة، ولا يخفضه خفضاً لا يحصل معه كمال الفائدة. روى الخطيب في **الجامع** عن النبي ﷺ قال: إن الله يُحبُّ[9] الصوت الخفيض ويبغض الصوت الرفيع، قال أبو عثمان محمد بن الشافعي: ما

---

(١) هـ: أو.
(٢) هـ: الأخبار ساقطة.
(٣) ظ: ويقيد هـ: يقيِّد.
(٤) ظ: يواخر.
(٥) هـ: أو يدعهما.
(٦) هـ: المسئلة.
(٧) ح. ظ: الواو ساقطة.
(٨) ح: ط: في ساقطة.
(٩) ظ: يحب ساقطة.

سمعت أبي يناظر أحداً قط فرفع صوته. قال البيْهقي: أراد والله أعلم فوق عادته. والأولى أن لا يجاوز صوته مجلسه، ولا يقصر عن سماع الحاضرين. فإن حضر فيهم ثقيل السمع فلا بأس بعلو صوته بقدر ما يسمعه، فقد رُوي في فضيلة ذلك حديث. ولا يسرد الكلام سرداً بل يرتّله ويرتبه ويتمهل فيه ليفكّر فيه هو وسامعه. فقد رُوي أن كلام رسول الله ﷺ كان فصلاً يفهمه من سمعه، وأنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتُفهم عنه. وإذا فرغ من مسألة أو فصل سكت قليلاً حتى يتكلم من[١] في نفسه كلام عليه، لأنَّا سنذكره[٢] إن شاء الله تعالى. أنه لا يقطع على العالم كلامه فإذا لم يسكت هذه السكتة ربما فاتت الفائدة.

السابع: أن يصون مجلسه عن اللّغط، فإن اللّغط[٣] تحث[٤] الغلط. وعن رفع الأصوات واختلاف جهات البحث. قال الربيع: كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة فعدل إلى غيرها يقول: نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد، ويتلطف في دفع ذلك في مباديه قبل انتشاره وثورات النفوس ويذكّر[٥] الحاضرين بما جاء في كراهية المماراة لا سيما بعد ظهور الحق، وأن مقصود الاجتماع ظهور الحق وصفاء القلوب وطلب الفائدة. وأنه لا يليق بأهل العلم تعاطي المنافسة والشحناء لأنها سبب العداوة والبغضاء. بل يجب أن يكون الاجتماع ومقصوده خالصاً لله تعالى لِيُثْمر[٦] الفائدة في الدنيا والسعادة في الآخرة. ويتذكر قوله تعالى: ﴿لِيحُقَّ الحق ويُبْطِلَ الباطـلَ وَلَوْ كَـرِهَ المجرمـون﴾[أ]. فإن ذلـك مُفهِم ان إرادة إبْطال الحق أو تحقيق الباطل صفة إجرام فَلْيَحْذر منه.

---

(١) ح. ظ: هو.
(٢) هـ: سنذكر.
(٣) هـ: الغلط.
(٤) ح. ظ: يحث.
(٥) ح. ظ: ومذاكرة.
(٦) هـ: ليميز.

(أ) سورة الأنفال: الآية ٨.

الثامن: أن يزجر من تعدى في بحثه أو ظهر منه لدد في بحثه أو سوء أدب أو ترك الإنصاف بعد ظهور الحق، أو أكثر الصياح بغير فائدة أو أساء أدبَه على غيره من الحاضرين أو الغائبين، أو ترفَّع في المجلس على من هو أولى منه، أونام أو تحدث مع غيره أو ضحك أو استهزأ بأحد من الحاضرين، أو فعل ما يخل بأدب الطالب في الحلقة. وسيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

هذا كله بشرط أن لا يترتب على ذلك مفسدة تَرْبو[1] عليه. وينبغي أن يكون له نقيب فطن لسن[2] دَرب يرتب الحاضرين ومن يدخل عليهم على قدر منازلهم، ويوقظ النائم ويشير إلى من ترك ما ينبغي فعله، ولو فعل ما ينبغي تركه، ويأمر بسماع الدروس والإنصات لها.

التاسع: أن يلازم الإنصاف في بحثه وخطابه، ويسمع السؤال من مورده على وجهه وإن كان صغيراً. ولا يترفع عن سماعه فيُحرم الفائدة. وإذا عجز السائل عن تقرير ما أورده أو تحرير العبارة فيه لحياءٍ أو قصورٍ، ووقع على المعنى، عبّر عن مراده وبينَّ وجْه إيراده، وردَّ على من ردَّ[3] عليه، ثم يجيب بما عنده أو يطلب ذلك من غيره. ويتروى فيما يجيب به. وإذا سُئل عما لم يعلمه قال: لا أعلمه أو لا أدري. فمن العلم أن يقول «لا أعلم» وعن بعضهم «لا أدري» نصف العلم. وعن ابن عباس (ر): إذا أخطأ العالم «لا أدري» أُصيبت مقالته. وقيل: ينبغي للعالم أن يورِّث أصحابه «لا أدري» لكثرة ما يقولها. قال محمد بن الحكم[4]: سألت الشافعي (ر) عن المتعة، أكان فيها طلاق أو ميراث أو نفقة تجب أو شهادة؟ فقال والله ما ندري[5]. واعلم أن قول المسؤول «لا أدري»، لا يضيع[6] من قدره كما يظنه بعض الجهلة.

---

(١) ح. ظ: تربوا.

(٢) هـ: كيس.

(٣) هـ: رده.

(٤) هـ: عبدالحكم.

(٥) ح: أدري.

(٦) هـ: يضع.

بل يرفعه لأنه[1] دليل على عظم محله وقوة دينه وتقوى ربه وطهارة قلبه وكمال معرفته وحسن تَثَبّته. وقد روينا معنى ذلك عن جماعة السلف.

وإن من يأنف من قول «لا أدري» من ضعفت ديانته وقلّت معرفته، لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين، وهذه جهالة ورقة دين وربما يشتهر[2] خطأه بين الناس فيقع فيما فرَّ منه، ويتصف عندهم بما احترز عنه. وقد أدَّب الله العلماء بقصة موسى مع الخضر (ع): حين لم يردّ موسى العلم إلى الله عز وجل لما سئل: هل في الأرض أحد أعلم منك؟

العاشر: أن يتودد لغريب حضر عنده، ويبسط له لينشرح صدره، فإن للقادم دهشة. فلا يُكثر الالتفات والنظر إليه استغراباً له فإن ذلك يخجله[3]. وإذا أقبل بعض الفضلاء وقد شرع في مسألة أمسك عنها حتى يجلس. وإذا[4] جاء وهو يبحث في مسألة أعادها له أو مقصودها. وإذا أقبل فقيه وقد بقي لفراغه وقيام الجماعة بقدر ما يصل الفقيه إلى المجلس، فليُؤخّر تلك البقية يعيدها(ويشتغل عنها ببحث أو غيره إلى أن يجلس الفقيه)[5] أو يتم البقية كيلا يخجل المُقبل بقيامهم عند جلوسه.

وينبغي مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره إذا لم يكن عليه من ضرورة ولا مزيد كلفة.

وأفتى بعض أكابر العلماء: أن المدرس إذا ذكر الدرس في مدرسة قبل طلوع الشمس أو أخَّره إلى بعد[6] الظهر لم يستحق معلوم التدريس إلا أن يقتضيه شرط الواقف لمخالفته العرف المعتاد في ذلك.

---

(١) ظ: لأنه ساقطة.
(٢) هـ: يشهر.
(٣) ح. ظ: تُخْجِلَه.
(٤) ح. ظ: وإن.
(٥) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٦) ظ: بعض.

الحادي عشر: جرت العادة أن يقول المدرس عند ختم كل درس « والله أعلم» وكذلك يكتب المفتي بعد كتابة الجواب. لكن الأوْلى أن يقال قبل ذلك كلام يُشْعِر بختم الدرس كقوله: وهذا آخره أو ما[١] بعده يأتي إن شاء الله تعالى، ونحو ذلك. ليكون قوله: « والله أعلم» خالصاً لذكر الله تعالى ولقصد معناه. ولهذا ينبغي أن يستفتح كل درس «ببسم الله الرحمن الرحيم» ليكون ذكر الله تعالى فيه بداية وخاتمة[٢].

والأوْلى للمدرِّس أن يمكث قليلاً بعد قيام الجماعة، فإن فيه فوائد وآداباً له ولهم، منها عدم مزاحمتهم، ومنها إن كان في نفس أحد بقايا سؤال سأله، ومنها عدم ركوبه بينهم إن كان ممن[٣] يركب وغير ذلك. ويُستحب إذا قام أن يدعو بما ورد به الحديث: «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب اليك».

الثاني عشر: أن[٤] لا ينتصب إذا لم يكن أهلًا له، ولا يذكر الدرس من لا يعرفه سواء اشترط[٥] الواقف أم لم يشترطه، فإن ذلك لَعِب في الدين وازدراء بين الناس.

قال النبي ﷺ: «المتشبِّع بما لم يعطَ كلابس ثوب[٦] زور». وعن الشبلي: من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه. وعن أبي حنيفة: من طلب الرياسة في غير حينه لم يزل في ذُلّ ما بقي. واللبيب من صان نفسه عن تعرضها لما يُعدُّ فيه ناقصاً وبتعاطيه ظالماً، أو باصرار عليها[٧] فاسقاً، فانه متى لم يكن أهلاً لِما شَرَطَهُ الواقف في وقْفِه، أو لما يقتضيه عُرْف مثله كان بإصراره على تناول ما لا يستحقه فاسقاً، فإن كان (الواقف

---

(١) ظ: ما ساقطة.
(٢) هـ: في بدايته وخاتمته.
(٣) هـ: ممن ساقطة.
(٤) ح. ظ: أن ساقطة.
(٥) هـ: شرطه.
(٦) ظ. هـ: ثوبي.
(٧) هـ: عليه.

شَرَطَ)[1] في الوقف بأن يكون المدرس عامياً أو جاهلاً لم يصح شرْطُه.

وإن[2] شرط جعل ناقص مخصوص مدرساً، سقط اسم الفسق وخطر الإثم وبقي التنقيص[3] به والاستهزاء به بحاله، ولا يرضى ذلك لنفسه أريب ولا يتعاطاه مع الغنى عنه لبيب[4]، ولا يظهر من واقف شرط ذلك قصد الانتفاع، ولا يؤول أمر وقفه إلا إلى الضياع[5]. وأقل مفاسد ذلك أن الحاضرين يفقدون الإنصاف لعدم من يرجعون اليه عند الاختلاف، لأن رب الصدر لا يعرف المصيب فينصره أو المخطىء فَيزْجُرَهُ.

وقيل لأبي حنيفة (ر): في المسجد حلقة ينظرون في الفقه، فقال: أَلَهُمْ رأس؟ قالوا: لا. قال: لا يفقه هؤلاء أبداً. ولبعضهم في تدريس من لا يصلح (وهو أبو علي الآمدي)[6].

تصدَّرَ للتدريس كل مهوسٍ	جهول تسمَّى[7] بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا	ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هَزُلَتْ حتى بدا من هزالها	كلاها وحتى سامها كلُّ مفلس

(١) هـ: ما بين القوسين ساقط.

(٢) ح. ظ: فإن.

(٣) هـ: التنقص.

(٤) ح. ظ: عنه ساقطة.

(٥) هـ: ضياع.

(٦) ما بين القوسين ساقط.

(٧) هـ: يسمى.

الفصل الثالث

في أدب العالم مع طلبته مطلقاً وفي حلقته

وهو أربعة عشر نوعاً:

الأول: أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى، ونشر العلم وإحياء الشرع ودوام ظهور الحق وخمول الباطل، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها واغتنام ثوابهم، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه علمه من بعدهم. وبركة دعائهم له وترحُّمهم عليه، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله ﷺ وبينهم، وعداده في جملة ملتقى مُبلّغي(١) وَحْي الله تعالى وأحكامه. فإن تعليم العلم من أهم أُمور الدين وأعلى درجات المؤمنين.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها يُصلُّون على معلم الناس الخير». لعمرك ما هذا إلا منصب جسيم وإن نيْلُه لفوز عظيم. نعوذ بالله من قواطعه ومكدراته وموجبات حرمانه وفواته.

الثاني: أن لا يمتنع من تعليم الطالب لعدم خلوص نيته، فإن حسن النية مرجو له ببركة العلم. قال بعض السلف: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله.

قيل: معناه فكان عاقبته أن صار لله. ولأن إخلاص النية لو شُرِطَ في تعليم

---

(١) ح: مبلغي ساقطة.

المبتدئين فيه مع عسره[1] على كثير منهم، لأدى ذلك إلى تفويت العلم على[2] كثير من الناس، لكن الشيخ يحرّض[3] المبتدىء على حُسْن النية بتدريج قولاً وفعلاً. ويعلّمه بعد أنسِه به أنه[4] ببركة حسن النية ينال الرتبة العليّة من العلم والعمل، وفيْض اللطائف وأنواع الْحِكم، وتنوير القلب وانشراح الصدر، وتوفيق العزم واصابة الحق، وحسن الحال والتسديد[5] في المقال، وعلو الدرجات يوم القيامة.

الثالث: أن يرَغِّبه في العلم وطلبه في أكثر الأوقات بذكر ما أعدَّ الله تعالى للعلماء من منازل الكرامات، وأنهم وَرَثَةُ الأنبياء وعلى منابر من نور، يغبطهم الأنبياء والشهداء، ونحو ذلك لما ورد في فضل العلم والعلماء من الآيات والأخبار والآثار والأشعار. ويرغّبه مع ذلك بتدريج على ما يعين على تحصيله من الاقتصار على الميسور، وقَدْر الكفاية من الدنيا والقناعة بذلك عن شغل القلب بالتعلق بها، وغَلَبة الفكر وتفريق الهمم بسببها، فإن انصراف القلب عن تعلق الأطماع بالدنيا والإكثار منها والتأسُّف على فانيها[6] أجمع لقلبه وارْوَح لسِرِّه[7] وأشرف لنفسه وأعلى لمكانته وأقَلّ لحُساده وأجدر لحفظ العلم وازدياده. ولذلك[8] قَلَّ من نال من العلم نصيباً وافراً إلا من كان في مبادىء تحصيله على ما ذكرت من الفقر والقناعة والإعراض عن طلب الدنيا وغرضها[9] الفاني. وسيأتي في هذا النوع أكثر من هذا في أدب المتعلم إن شاء الله تعالى.

الرابع: أن يُحِبَّ لطالبه ما يحب لنفسه (كما جاء في الحديث، ويكره له ما يكره

---

(١) ح. ظ: غبره.
(٢) هـ: على ساقطة.
(٣) ح. ظ: يحرص.
(٤) ظ: أنه ساقطة.
(٥) ظ: التشديد.
(٦) هـ: فائتها.
(٧) هـ: لبدنه.
(٨) ح. ظ: كذلك.
(٩) هـ: عرضها.

لنفسه): [1] قال ابن عباس: أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إليَّ، لو استطعت ألا يقع الذباب عليه لفعلت. وفي رواية: إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني.

وينبغي أن يعتني بمصالح الطالب ويعامله بما يعامل به أعزّ أولاده من الحنو والشفقة عليه والإحسان إليه، والصبر على جفاه وربما[2] وقع منه نقص لا يكاد يخلو الانسان عنه، وسوء أدب في بعض الأحيان، ويبسط عذره بحسب الإمكان. ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطيف لا بتعنيف[3]، قاصداً بذلك حُسْن تربيته وحُسْن[4] خُلُقِه وإصلاح شأنه، فإن عرف ذلك لذكائه بالإشارة فلا حاجة إلى صريح العبارة، وإن لم يفهم ذلك إلا من صريحها[5]، أتى به وراعى التدريج في التلطف، ويؤدبه بالآداب[6] السنية ويحرِّضه على الأخلاق المرضية ويوصيه بالأمور العُرفية على الأوضاع الشرعية.

الخامس: أن يسمع له بسهولة الإلقاء في تعليمه وحُسنِ التلطف في تفهيمه. لا سيما إذا كان أهلاً لذلك لحسن أدبه وجودة طلبه. ويحرِّصه على ضبط[7] الفوائد وحفظ النوادر الفرائد، ولا يدخر عنه من أنواع العلوم ما يسأله عنه وهو أهل له، لأن ذلك ربما يوحش الصدر وينفر القلب ويورث الوحشة.

وكذلك لا يلقي إليه ما لم يتأهل له، لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرِّق فهمه. فإن سأله الطالب شيئاً من ذلك لم يجبه ويعرِّفه أن ذلك يضره ولا ينفعه، وإن مَنْعَه[8]

---

(١) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٢) هـ. ظ: الواو زائدة.
(٣) هـ: وتعسف زائدة.
(٤) هـ: تحسين.
(٥) هـ: بصريحها.
(٦) ظ: الأدب.
(٧) هـ: طلب.
(٨) هـ: إياه منه زائدة.

شفقة عليه ولطف به لا بخلاً عليه، ثم يُرغِّبه عند ذلك في الاجتهاد والتحصيل ليتأهل لذلك وغيره. وقد رُوي في تفسير الرّباني أنه الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره (ح/٧٩).

السادس: أن يَحْرِصَ على تعليمه وتفهيمه ببذل جهده وتقريب المعنى له، من[١] غير إكثار لا يحتمله ذهنه، أو بسط لا يضبطه حفظه، ويوضح لمتوقف الذهن العبارة ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره. ويبدأ بتصوير المسائل ثم يوضّحها بالأمثلة، ويَذْكُرُ الأدلة والمآخذ لمحتملها. ويُبيِّن له معاني أسرار حكمها وعللها، وما يتعلَّق بتلك المسألة من فرع وأصل، ومن وهْمٍ فيها في حكم أو تخريج أو نقل، بعبارة حسنة الأداء بعيدة عن تنقيص أحد من العلماء. ويقصد ببيان ذلك الوهم طريق النصيحة وتعريف النقول الصحيحة. وَيَذْكُرُ ما يشابه تلك المسألة ويناسبها وما يفارقها. ويبين مأخذ الحكْمَينْ والفرق بين المسألتين.

ولا يمتنع من ذكر لفظة يستحى[٢] من ذكرها عادة إذا احتيج إليها ولم يتم التوضيح إلا بذكرها، فإن كانت الكِنايَة تفيد معناها وتحصيل[٣] مقتضاها[٤] تحصيلاً بيِّناً لم يصرح بذكرها، بل يكتفي بالكناية عنها. وكذلك إذا كان في المجلس من لا يليق ذكرها بحضوره لحيائه أو لجفائه فَيُكَنِّ عن تلك اللفظة بغيرها. ولهذه المعاني واختلاف الحالِ والله أعلم. ورد في حديث النبي ﷺ: «التصريح تارة والكِناية أخرى».

السابع: إذا فرغ الشيخ من شرح درس فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به على الطلبة، ويمتحن بها فَهْمَهُم وضبطهم لما شُرِح لهم. فمن ظهر استحكام فهمه له

---

(١) ظ: من ساقطة.
(٢) ح. ظ: يستحيا.
(٣) ح. هـ: تحصل.
(٤) هـ: منتهاها.
(٥) ح. ظ: التاسع.

بتكرار الإصابة في جوابه شكره، ومن لم يفهمه تلطَّف في إعادته له. والمُعْنى بطرح المسائل أن الطالب ربما استحيا من قوله: «لم أفهم»، إما لرفع كلفة[1] الإعادة على الشيخ أو لضيق الوقت أو حياء من الحاضرين، أو كيلا يتأخر قراءتهم[2] بسببه. ولذلك قيل: لا ينبغي للشيخ أن يقول للطالب هل فهمت إلا إذا أمِنَ قوله[3] نعم، قبل أن يفهم. فإن لم يفهم يأمن كذبه لحياء أو غيره، فلا يسأله عن فهمه لأنه ربما وقع في الكذب بقوله «نعم»، لِما قد قدمناه من الأسباب. بل يطرح عليه المسائل بعد ذلك[4]. إلا أن يستدعي الطالب ذلك لاحتمال خجله بظهور خلاف ما أجاب به. وينبغي للشيخ أن يأمر الطلبة بالمرافقة في الدرس كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وبإعادة الشرح بعد فراغه فيما بينهم ليثبت في أذهانهم ويرسخ في أفهامهم ولأنه يحثهم على استعمال الفكر ومؤاخذة النفس بطلب التحقيق.

الثامن: أن يطالب الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات، ويمتحن ضبطهم لما قَدَّمَ لهم من القواعد المهمة والمسائل الغريبة، وليَخْتَبِرَهُمْ بمسائل تنبني[5] على أصل قدَّرَهُ أو دليل ذَكَرَهُ. فمن رآه مصيباً في الجواب ولم يَخَفْ[6] عليه شدة الإعجاب، شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه واياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد ومن يراه مقصراً ولم يخف[7] نُفُورَه عنَّفه على قصوره وحرَّضه على ما يقتضي علوّ الهمة ونيل المنزلة في طلب العلم. لا سيما إن كان ممن يزيده التعنيف نشاطاً والشكر انبساطاً[8] ويعيد ما يقتضي الحال إعادته ليفهمه الطالب فهماً راسخاً.

التاسع: إذا سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيه حاله أو تتحمله طاقته

---

(١) هـ: كل.
(٢) ظ: فواتهم.
(٣) هـ: من قوله.
(٤) هـ: كما ذكرناه.
(٥) هـ: تُنبي.
(٦) هـ: ما يقتضي ساقطة.
(٧) ح. يخيف.
(٨) ح. ظ: انتشاطاً.

وخاف الشيخ ضجره، أوصاه بالرفق بنفسه وذكَّره بقول النبي ﷺ: «إنّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظهراً أبْقى»، ونحو ذلك مما يحمله على الأناة والاقتصاد في الاجتهاد. وكذلك إذا ظهر له منه نوع سآمة أو ضجر أو مبادىء ذلك، أمره بالراحة وتخفيف الاشتغال. ولا يشير على الطالب بتعلم[1] ما لا يحتمله فهمه أو سِنّه. ولا بكتاب يقصر ذهنه عن فهمه. فإن استشار الشيخ من لا يعرف حاله في الفهم والحفظ في قراءة فن أو كتاب، لم يُشِرْ عليه حتى يُجَرِّب ذهنه ويَعْلَم حاله. فإن لم يحتمل الحال التأخير أشار عليه بكتاب سهلٍ من الفن المطلوب. فإن رأى ذهنه قابلاً وفهمه جيداً نقله إلى كتاب يليق بذهنه وإلَّا تركه. وذلك لأن نقل الطالب إلى ما يدلُّ نقله إليه على جودة ذهنه يزيد انْبِساطه[2]، وإلى ما يدل على قصوره يقلل نشاطه. ولا يمكِّن الطالب من الاشتغال في فنين أو أكثر إذا لم يضبطها. بل يقدِّم الأهم كما سنذكر إن شاء الله تعالى. وإذا علم أو غلب على ظنه أنه لا يُفْلِح في فن أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يترجى فيه فلاحه.

العاشر: أن يذكر للطلبة قواعد الفن التي تَنْخَرِم، إما مطلقاً كتقديم المباشرة على السبب في الضمان، أو غالباً كاليمين على المدعى عليه إذا لم يكن بَيِّنَة إلا في القسامة والمسائل المستثناة[3] من القواعد، كقوله بالجديد[4] من كل قولين قديم وجديد إلا في أربع عشرة[5] مسألة ويذكرها. وكل يمين على نفي فعل الغير فهي على نفي العلم إلا من ادُّعي عليه، ان عَبْدَهُ جنى فيحلف على البت[6] على الاصح، وكل عبادة يخرج منها بفعل مُنافيها ومُبطلها إلا الحج والعمرة. وكل وضوء يجب فيه الترتيب إلا وضوء تخلله[7] غسل «الجَنَابَةِ» وأشباه ذلك.

---

(١) هـ: يقلم.

(٢) ح. ظ: نشاطه.

(٣) هـ: المنتثاة.

(٤) هـ: العمل زائدة.

(٥) ح. ظ: أربعة عشر.

(٦) ظ: البيت.

(٧) هـ: تحلله.

ويُبيِّن مآخذ ذلك كله. وكذلك كل أصل وفرع[1] وما يبنى عليه من كل فن يحتاج إليه من علمي التفسير والحديث، وأبواب أصول الدين والفقه والنحو والتصريف واللغة ونحو ذلك. إما بقراءة كتاب في الفن، أو بتدريج على الطول. وهذا كله إذا كان الشيخ عارفاً بتلك الفنون، وإلا فلا يتعرض لها بل يقتصر على ما يتقنه منها. ومن ذلك نوادر ما يقع في المسائل الغريبة والفتاوى العجيبة والمعاني العجيبة، ونوادر الفروق والمعاياة، ومن ذلك ما لا يسع الفاضل جهله، كأسماء المشهورين من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أئمة المسلمين وكبار الزهاد والصالحين، كالخلفاء الأربعة وبقية العشرة والنقباء الاثني عشر والبدريين[2] والمُكْثرين والعبادلة والفقهاء السبعة والأئمة الأربعة. فيضبط أسماءهم وكناهم وأعمارهم ووفاتهم[3] وما يستفاد من مجالس[4] آدابهم ونوادر أحوالهم، فيحصل مع الطول فوائد كثيرة النفع ونفائس غزيرة الجمع ولْيَحْذَرْ كل الحَذَرِ من مناقشة بعضهم لكثرة تحصيله أو زيادة فضائله، لأن ثواب فضائلهم عائد اليه[5]، وحسن تربيتهم محسوب عليه. وله من جهتهم في الدنيا الدعاء والثناء والذكر الجميل، وفي الأخرة الثواب الجزيل.

الحادي عشر: أن لا يُظْهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودة، أو اعتناء مع تساويهم في الصفات، من سِنّ أو فضيلة أو تحصيل أو ديانة. فإن ذلك ربما يوحش الصدر وينفِّر القلب. فإن كان بعضهم أكثر تحصيلاً وأشد اجتهاداً[6] وأبلغ اجتهاداً[7] وأحسن أدباً، فاظهر إكرامه وتفضيله، وبيِّن أن زيادة إكرامه لتلك الأسباب فلا بأس بذلك. لأنه ينشِّط ويبعث على الاتصاف بتلك

(١) هـ: فرع ساقطة.
(٢) ح. ظ: التدريين.
(٣) هـ: ووفياتهم.
(٤) هـ: محاسن.
(٥) هـ: إليهم.
(٦) هـ: أو.
(٧) هـ: أو.

الصفات. وكذلك لا يقدِّم أحداً في نوبة غيره أو يؤخره عن نوبته، إلا إذا رأى في ذلك مصلحة تزيد على مصلحة مراعاة النوبة. فإن سمح بعضهم لغيره في نوبته فلا بأس، وسنذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى. وينبغي أن يتودد لحاضرهم ويذكر غائبهم بخير وحُسْنِ ثناء. وينبغي أن يتعلم[1] أسماءهم وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم ويكثر الدعاء لهم بالصلاح[2].

الثاني عشر: أن يراقب أحوال الطلبة في آدابهم وهديهم وأخلاقهم باطناً وظاهراً. فمن صدر منه ذلك ما لا يليق من[3] ارتكاب محرَّم أو مكروه، أو ما يؤدي إلى فساد حال أو ترك اشتغال، أو اساءة أدب في حق الشيخ أو غيره، أو كثرة كلام بغير توجيه ولا فائدة، أو حرص على كثرة الكلام أو معاشرة من لا تليق[4] عشرته، أو غير ذلك مما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في آداب[5] المتعلم، عرّض الشيخ بالنهي عن ذلك بحضور من صدر منه غير معرِّض به ولا معيِّن له. فإن لم ينته نهاه عن ذلك سراً. ويكتفي بالاشارة مع من يكتفي بها. فإن لم ينته نهاه عن ذلك جهراً، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال لينزجر هو وغيره ويتأدب به كل سامع. فإن لم ينته فلا بأس حينئذ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع. ولا سيما إذا خاف على بعض رفقائه وأصحابه من الطلبة موافقته.

وكذلك يتعاهد ما يتعامل[6] به بعضهم بعضاً من إفشاء السلام وحسن التخاطب في الكلام، والتحابب والتعاون على البِر والتقوى، وعلى ما هو بصدده. وبالجملة فكما يعلمهم مصالح دينهم لمعاملة الله تعالى، فيعلِّمهم مصالح دنياهم لمعاملة الناس لِيُكمل لهم فضيلة الحالتين.

---

(١) هـ: يستعلم.
(٢) ح. ظ: بالصلاح ساقطة.
(٣) هـ: من زائدة.
(٤) ح. ظ: يليق.
(٥) ظ: أدب.
(٦) هـ: يعامل.

الثالث عشر: أن يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم ومساعدتهم بما يتيسر عليه من جاه أو ماله[1] عند قدرته على ذلك. وسلامة دينه وعدم ضرورته فإن الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون[2] أخيه (ومن كان في عون أخيه)[3] كان الله في حاجته، ومن يسَّر على مُعسر يسَّر الله عليه حسابه يوم القيامة، ولا سيما[4] إذا كان ذلك إعانة على طلب العلم الذي هو من[5] أفضل القُرُبات.

وإذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة زائداً عن العادة، سأل عنه وعن أحواله وعن من يتعلق به. فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه أو قصد منزله بنفسه وهو أفضل. فإن كان مريضاً عاده، وإن كان في غمّ خفَّض عليه، وإن كان مسافراً تفقد أهله ومن يتعلق به وسأل عنهم[6]، وتعرض لحوائجهم ووصلهم بما أمكن. وإن كان فيما يحتاج إليه أعانه، وإن لم يكن شيئاً من ذلك تودد إليه ودعا له. واعلم أن الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه وأقرب أهله إليه. وكذلك[7] كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع الناس به في حياتهم ومن بعدهم، ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى، فإنه لا يتصل شيء من علمه[8] إلى أحد فينتفع به، إلا كان له نصيب من أجر كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، قال[9]: «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاثة: صَدَقَةٌ جارية أو عِلْمٌ يُنْتَفَعُ[10] به، أو ولد صالح يدعو له». وأنا أقول:

---

(١) ح: هـ. و.

(٢) هـ: حاجة.

(٣) هـ: ما بين القوسين ساقط.

(٤) ح. ظ: الواو ساقطة.

(٥) ح. ظ: من ساقطة.

(٦) ح. ظ: عنه.

(٧) هـ: لذلك.

(٨) ح. ظ: عمله.

(٩) هـ: قال ساقطة.

(١٠) ظ: ينفع.

إذا نظرت وجدت معاني[1] الثلاثة موجودة في معلم العلم: أما الصدقة فإقراؤُهُ إياه العلم وإفادته إياه، ألا ترى إلى قوله ﷺ في المصلي وحده[2]: «من يتصدق على هذا» أي بالصلاة معه ليحصل له فضيلة الجماعة. ومعلِّم العلم يحصل للطالب فضيلة العلم التي هي أفضل من صلاة في جماعة، وينال بها شرف الدنيا والآخرة. وأما العلم المُنْتَفِع[3] به فظاهر، لأنه كان سبباً لإيصال ذلك العلم إلى كل من ينتفع به. وأما الدعاء الصالح له، فالمعتاد المستقرىء على ألسنة أهل العلم والحديث قاطبة من الدعاء لمشايخهم وأئمتهم وبعض أهل العلم يَدْعون لكل من يُذْكر عنه شيء من العلم، وربما يقرأ بعضهم الحديث بِسَنَدِهِ فيدعو لجميع رجال السند، فسبحان من اخْتَصَّ من شاء من عباده بما شاء من جزيل عطائه.

الرابع عشر: أن يتواضع[4] مع الطالب وكل مسترشد سائل، إذا قام بما يجب عليه من حقوق الله تعالى وحقوقه، ويخفض له جناحه ويلين له جانبه. قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿واخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ من المؤمنين﴾[أ].

وصحَّ عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله». وهذا لمطلق الناس فكيف بمن له حق الصحبة وحرمة التردد وصدق التودد وشرف الطلب. وفي الحديث: لينوا لِمَنْ تعلِّمون ولِمَنْ[5] تتعلمون منه. وعن الفضل[6]. من تواضع لله ورَّثه الحكمة. وينبغي أن يخاطب كلّاً منهم لا سيما الفاضل المتميز بكنيته ونحوها من أحب الأسماء إليه، وما فيه تعظيم له وتوقير.

---

(١) ظ: ما زائدة.
(٢) ح. ظ: وحده ساقطة.
(٣) ح. ظ: المشفع.
(٤) هـ. ح: من.
(٥) ح. ظ: لا تتعلمون.
(٦) هـ: الفضيل.

(أ) القرآن: الشعراء/ ٢١٥.

فعن عائشة (ر): «كان رسول الله ﷺ يُكنّي أصحابه إكراماً لهم». وكذلك ينبغي أن يترحب بالطلبة إذا لقيهم وعند إقبالهم عليه، ويُكرِّمهم إذا جلسوا إليه، ويؤْنسهم بسؤاله عن أحوالهم وأحوال من يتعلق بهم بعد رد سلامهم. ويعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البِشْر وحُسْن المودة وإعلام المحبة وإظهار الشفقة. لأن ذلك أشرح لصدره وأطلق لوجهه وأبسط[1] لسؤاله. ويزيد في ذلك[2] لمن يُرْجى فلاحه ويظْهر صلاحه. وبالجملة فهم وصيَّة رسول الله ﷺ مما[3] رواه أبو سعيد الخدري(ر) عنه ﷺ قال:

«إن الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في[4] الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً». وكان البُويطي يُدْني القرَّاء، ويُدنيهم إذا طلبوا العلم، ويعرِّفهم فضل الشافعي (ر) وفضل كتبه ويقول: كان الشافعي يأمر بذلك ويقول: أصبر للغرباء وغيرهم من التلاميذ. وقيل: كان أبو حنيفة أكرم الناس مجالسة وأشدهم إكراماً لأصحابه.

---

(١) ح. ظ: أنشط.
(٢) ظ. هـ: في ذلك ساقطة.
(٣) هـ: فيما.
(٤) هـ: على.

الباب الثالث

في آداب[1] المتعلم

الفصل الأول : في آدابه في نفسه

الفصل الثاني : في آدابه مع شيخه وقدوته وما يجب عليه من عظيم حرمته

الفصل الثالث : في آدابه في درسه وقراءته في الحلقة وما يعتمده فيها مع الشيخ والرفقة .

الفصل الأول

في آدابه[1] في نفسه

وهو[2] عشرة أنواع:

الأول: أن يُطهِّر قلبه من كل غشّ وغلٍّ، ودنس وحسد، وسوء عقيدة وخُلق، ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه، وحقائق معانيه[3]، وحقائق غوامضه. فإن العلم كما قال بعضهم صلاة السر وعبادة القلب وقربة الباطن. وكما لا تصح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر[4] من خبث[5] الصفات، وحدث مساويء الأخلاق ورديّها، وإذا طُيِّب القلب للعلم ظهرت بركته ونما كالأرض إذا تَطَيَّب للزرع نما[6] زرعها وزَكَى[7]. وفي الحديث: إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا[8] وهي القلب.

---

(١) ظ: أدب.

(٢) هـ: وفيه.

(٣) هـ: وحقائق معانيه ساقطة.

(٤) ظ: الظاهر ساقطة.

(٥) ظ: عن خبث. ح: الحدث والخبث، فكذلك لا يصلح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارة عن خبيث الصفات، زائدة.

(٦) ح. ظ: نمى.

(٧) ح. ظ: وزكا.

(٨) ظ: ألا ساقطة.

وقال سهل: حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكرهه الله عز وجل.

الثاني: حُسْن النية في طلب العلم، بأن يقصد به وجه الله عز وجل والعمل به وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه وتخْلِية[١] باطنه، والقرب من الله تعالى يوم لقائه[٢]، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله.

قال سفيان[٣] الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نفسي، ولا يقصد به الأعراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال ومباهاة الأقران وتعظيم الناس له وتصديره في المجالس ونحو ذلك، فيستبدل الأدنى بالذي هو خير.

قال أبو يوسف: أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه[٤] (أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه)[٤] أن أعلوهم إلا لم أقم قط حتى أفتضح. والعلم عبادة من العبادات وقربة من القُرُبات[٥]، فإن خلصت فيه النية لله تعالى قُبِل وزكا ونمت بركته، وإن قُصِدَ به غير وجه الله تعالى حَبط وضاع وخسرت صفقته، وربما[٦] يفوته تلك المقاصد ولا ينالها فيخيب ويضيع سَعيه.

الثالث: أن يبادر شبابه وأوقات عمره[٧] إلى التحصيل، ولا يغتر بخدع التسويف والتأويل، فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها ولا عوض عنها، ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة، والعوائق المانعة عن تمام الطلب وبذل الاجتهاد، وقوة الجد في التحصيل، فإنها كقواطع الطريق. ولذلك استحب السلف

---

(١) ظ: تحلية.

(٢) هـ: القيامة.

(٣) ح. ظ: سفين.

(٤) ظ: ما بين القوسين ساقط.

(٥) هـ: القرب.

(٦) هـ: وبما.

(٧) هـ: غمرة.

التغريب عن الأهل والبعد عن الوطن، لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق وغموض الدقائق. وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. وكذلك يقال: «العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلَّك». ونقل الخطيب البغدادي في الجامع عن بعضهم قال: لا ينال هذا العلم إلا من عطَّل دكانه وخرَّب بستانه، وهجر إخوانه ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته.

وهذا كلّه وإن كان[1] فيه مبالغة فالمقصود به[2] أنه لا بد فيه من جمع القلب واجتماع الفكر. وقيل: أمر بعض المشايخ طالباً له بنحو ما رواه[3] الخطيب، فكان آخر ما أمره به أن قال: اصبغ ثوبك كيلا يشغلك فكر غسله. وكما[4] يقال عن الشافعي أنه قال: لو كلفت شراء بصلة لما فهمت مسألة.

الرابع: أن يقنع من القوت بما تيسَّر وإن كانَ يسيراً، ومن اللباس بما ستر مثله وإن كان خلقاً. فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم ويجمع شمل القلب عن متفرقات الآمال ويتفجر منه[5] ينابيع الحكم.

وقال الشافعي (ر): لا يطلب أحد هذا العلم بالمُلْك وعزّ النفس فيُفْلِح ولكن من طلبه بِذُلِّ النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح.

وقال: لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس، قيل: ولا الغني المكفي؟ قال: ولا الغني المكفي.

وقال مالِك: لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد، حتى يضر به الفقر ويؤثره على كل شيء.

وقال أبو حنيفة: يُستعان على الفقه بجمع الهمم[6] ويستعان على حذف

---

(١) هـ: كانت.

(٢) ح. ظ: به ساقطة.

(٣) ح. ظ: رآه.

(٤) هـ: مما.

(٥) هـ: فيه.

(٦) ح. ظ: الهم.

العلائق بأخذ اليسير عند الحاجة ولا يزد. فهذه أقوال هذه الأئمة الذين لهم فيه القدح المُعلَّى غير مدافع، وكانت هذه أحوالهم رضي الله عنهم.

قال الخطيب: ويستجيب للطالب أن يكون عزبا ما أمكنه، لئلا يقطعه الاشتغال بحقوق الزوجية وطلب المعيشة عن إكمال الطلب. وقال سفيان(١) الثوري: من تزوَّج فقد ركب البحر، فان وُلِدَ له ولد فقد كسر به. وبالجملة فترك التزويج لغير المحتاج إليه. أو غير القادر عليه أولى(٢)، ولا سيما للطالب الذي رأس ماله جمع الخاطر وإجمام القلب واشتغال(٣) الفكر.

الخامس: أن يقسِّم أوقات ليله ونهاره ويغتنم ما بقي من عمره، فإن بقية لعمر لا قيمة له. وأجود الاوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الأبكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل.

وقال الخطيب: أجود أوقات الحفظ الاسحار ثم وسط النهار ثم الغداة. قال: وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع. قال: وأجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعيد عن الملهيات. قال: وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار وقوارع الطرق وضجيج الأصوات، لأنها تمنع من خلو القلب غالباً.

السادس: من أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال والفهم وعدم الملال أكل القَدْرِ اليسير من الحلال.

قال الشافعي(ر): ما شبعت منذ ست عشرة سنة. وسبب ذلك أن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب، وكثرة(٤) الشرب جالبة للنوم والبلادة وقصور الذهن وفتور الحواس وكسل الجسم. هذا مع ما فيه من الكراهية الشرعية والتعرض لخطر

---

(١) ح. ظ: سفين.
(٢) ح. ظ: أولى ساقطة.
(٣) ح. ظ: واستعمال.
(٤) هـ: وكثرته.

الأسقام البدنية. كما قيل: فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام والشراب ولم يَرَ[1] أحد من الأولياء والأئمة العلماء يصف شاكراً[2] ويوصف بكثرة الأكل، ولا حمد به. وإنما تحمد كثرة الأكل من الدواب التي لا تعقل، بل هي مرصدة للعمل.

والذهن الصحيح أشرف من تبليده[3] وتعطيله بالقدر اليسير من طعام يؤول أمره إلى ما قد علم. ولو لم يكن من آفات كثرة الطعام والشراب إلا الحاجة إلى كثرة دخول الخلاء لكان ينبغي للعاقل اللبيب أن يصون نفسه عنه. ومن رام الفلاح في العلم وتحصيل البُغْية منه مع كثرة الأكل والشرب والنوم فقد رام مستحيلاً في العادة.

والأَوْلى أن يكون أكثر[4] ما يأخذ من الطعام ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: «ما ملأ ابن آدم وعاءً أشرّ من بطنه، حَسْبُ[5] ابن آدم لقَيْمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثُلْث لطعامه وثُلْث لشرابه وثُلْث لنفسه». رواه الترمذي.

فإن زاد على ذلك فالزيادة إسراف خارج عن السنة. وقد قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وقال بعض العلماء: جمع الله تعالى بهذه الكلمات الطبَّ كله.

السابع: أن يأخذ نفسه[6] بالورع في جميع شأنه، ويتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه وسكنه، وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله، ليستنير[7] قلبه ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به. ولا يقنع لنفسه بظاهر الحل شرعاً، فمهما أمكنه التورع ولم يلجّه حاجة أو يجعل حظه الجواز، بل يطلب الرتبة العالية، ويقتدي بمن

---

(١) ح. ظ: تر.
(٢) هـ: شاكراً ساقطة.
(٣) هـ: تبلُّدِه.
(٤) ج. ظ: جائعاً.
(٥) هـ: بحسب.
(٦) ح. ظ: لنفسه.
(٧) ح. ظ: ويستنير.

سلف من العلماء والصالحين[1] في التورع عن كثير كما[2] كانوا يفتون بجوازه. وأحق من اقتدى به في ذلك سيدنا رسول الله ﷺ، حيث لم يأكل التمرة التي وجدها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة مع بعد كونها منها. ولأن أهل العلم يُقْتدى بهم ويُؤخذ عنهم. فإذا لم يستعملوا الورع فمن يستعمله.

وينبغي له أن يستعمل الرخص في مواضعها عند الحاجة إليها، ووجود سببها ليقتدي بها[3] فيها[4]. فإن الله تعالى يُحِبُّ أن تُؤتَىٰ رخصه كما يُحِبُّ أن تؤتى عزائمه.

الثامن: أن يقلل من استعمال المطاعم التي هي من أسباب البلادة وضعف الحواس، كالتفاح الحامض والباقلى وشرب الخل وكذلك ما يُكثر استعماله البلغم المُبَلِّد للذهن المُثْقِل للبدن، ككثرة[5] الألبان والسمك وما أشبه ذلك. وينبغي أن يستعمل ما جعله الله سبباً لجَوْدَة[6] الذهن كمضغ اللبان والمصطكى على حسب العادة[7] وأكل الزبيب بُكْرة والجلاَّب، ونحو ذلك مما ليس هذا موضع شرحه. وينبغي أن يتجنب ما يورث النسيان بالخاصية، كأكل إثْر سور الفار، وقراءة ألواح القبور والدخول بين جملين مقطورين، وإلقاء القمل ونحو ذلك من المجرَّبات فيه.

التاسع: أن يقلل نومه ما لم يلحقه ضرر في بدنه وذهنه، ولا يزيد في نومه في اليوم والليلة على ثمان ساعات وهو ثلث الزمان. فإن احتمل حاله أقل منها فعل. ولا بأس أن يريح نفسه وقلبه وذهنه وبصره إذا كلَّ شيء من ذلك أو ضعف، بتنزه وتفرج في المنتزهات[8] بحيث يعود إلى حاله ولا يضيع زمانه.

---

(١) هـ: الواو ساقطة.

(٢) هـ: مما.

(٣) هـ: بهم.

(٤) ظ: بها.

(٥) هـ: فيه زائدة.

(٦) ح. ظ: لجوادة.

(٧) ح: مزاجه.

(٨) هـ: المستنزهات.

ولا بأس بمعانـاة المشي ورياضة البدن، فقد قيل: انه ينعش الحرارة ويذيب فضول الأخلاط وينشّط البدن، ولا بأس أيضاً بالوطي الحلال إذا احتاج إليه. فقد قال الأطباء انه يخفّف الفضول[1] ويصفي الذهن إذا كان عند الحاجة باعتدال، ويحذر كثرته حذر العدو فإنه كما قيل: «ماء الحياة يُراق[2] في الأرحام». يُضعف السمع والبصر[3] والحرارة والعـظم[4] والهضم وغير ذلـك من الأمراض الـرديَّة. والمحققون من الأطباء يرون أن تركه أولى إلاَّ لضرورة أو استشفاء، وبالجملة فلا بأس أن يريح نفسه إذا خاف مللاً. وكان بعض أكابر العلماء يجمع أصحابه في بعض أماكن التنزه في بعض أيام السنة ويتمازحون بما لا ضرر عليهم في دين ولا عرض.

العاشر: أن يترك العشرة فإن تركها من أهم ما ينبغي لطالب العلم، ولا سيما لغير الجنس. وخصوصاً لمن كثر لعبه وقلّت فكرته، فإن الطباع سرّاقة. وإن في[5] العشرة ضياع العمر بغير فائـدة وذهاب المال والعرض إن كان لغـير أهل الدين[6]. والذي ينبغي لطالب العلم، أن لا يخالط إلا من يفيده[7] ويستفيد منه كما روى عن النبي ﷺ: «اغْـد عـالمـا أو متعلماً ولا تكن الثـالث فتهلك». فـإن شرع أو تعرّض لصحبة من يضيع عمره معه ولا يفيده ولا يستفيد، ولا يعينه على ما هو بصدده فليتلطف قطع عشرته من[8] أول الأمر قبل تمكنها. فإن الأمور إذا تمكنت عسرت إزالتها. ومن الجاري على ألْسِنَةِ الفقهاء: «الدفع أسهل[9] من الـرفع».

---

(١) هـ: وينشط زائدة.

(٢) هـ: يصب.

(٣) ظ: السمع والبصر ساقطة.

(٤) هـ: والعظم ساقطة.

(٥) هـ: آفة.

(٦) هـ: أو ذهاب الدين إن كانت لغير أهله.

(٧) هـ: أو.

(٨) ح. ظ: في.

(٩) ظ: أسهل ساقطة.

(لأن الدفع قبل الوقوع والرفع بعد الوقوع، وإزالة الشيء قبل وقوعه أيسر منها بعده [1].

فإن احتاج إلى من[2] يصحبه فليكن صاحباً صالحاً ديّناً تقياً ورعاً ذكياً، كثير الخير قليل الشر، حسن المداراة قليل المماراة إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه وإن احتاج واساه، وإن ضجر صبّره.

ومما يُروى عن علي بن ابي طالب(ر) قال:

فكم من جاهل أردى حليماً حين واخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه

ولبعضهم:

إن أخاك الصدق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن ذا[3] إذا ريب الزمان صدعك شتت شمل نفسه ليجمعك

---

(١) هـ: ما بين القوسين ساقط.
(٢) هـ: أن.
(٣) ح. ظ: ذا، ساقطة.

الفصل الثاني

في أدبه مع شيخه وقدوته وما يجب عليه من عظيم حرمته

وهو ثلاثة عشرة نوعاً:

الأول: إنه ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله تعالى فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسب حسن الأخلاق والأدب منه[1]. وليكن إن أمكن ممن كَمُلَت أهليَّته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته، وعُرِفَت عفته، واشتهرت صيانته. وكان أحسن تعليماً وأجود تفهيماً. ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل. فعن بعض السلف: «هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم».

وليحذر من التقيد[2] بالمشهورين وترك الأخذ عن الخاملين. فقد عد الغزالي وغيره ذلك من الكِبر على العلم وجعله عين الحماقة، لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها. ويتقلد المنَّة لمن ساقها اليه، فإنه يهرب من مخافة الجهل كما يهرب من الأسد، والهارب من الأسد لا يأنف من دلالة[3] من يدله على الخلاص كائناً من كان. فإذا كان الخامل ممن يُرجى[4] بَرَكَتُه

---

(١) ح. هـ: الآداب.

(٢) هـ: التعييد.

(٣) ظ: دولة.

(٤) ح. هـ: ترجى.

كان النفع به أعمّ والتحصيل من جهته أتمّ. وإذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالباً والفلاح يدرك طالباً الا إذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر، وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر.

وكذلك إذا اعتبرت المصنَّفات، وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى الأزهد، وأوفر[1] الفلاح بالاشتغال به أكثر. وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن لهَ على العلوم الشرعية تمام اطلاع[2]، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره وكثرة بحث وطول أجتماع. لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يُعرف بصحبة المشايخ الحذاق.

قال الشافعي(ر): من تفقَّه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام. وكان بعضهم يقول: من أعظم البليَّة تَمشيُخ[3] الصحيفة. أي الذين تعلَّموا من الصحف.

الثاني: أن ينقاد لشيخه في أموره ولا يخرج عن رأيه وتدبيره. بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر، فيشاوره فيما يقصده، ويتحرى رضاه فيما يعتمده، ويبالغ في حرمته ويتقرب إلى الله عز وجل بخدمته، ويعلم أن ذلَّه لشيخه عِزّ، وخضوعه له فخر، وتواضعه له رفعة.

ويقال إن الشافعي(ر) عوتب على تواضعه للعلماء فقال:

أهين لهم نفسي وهم يكرمونها[4] ... ولن[5] تكرم النفس التي لا تهينها

وأخذ ابن عباس(ر) مع جلالته ونيته[6] ومرتبته بركات زيد بن ثابت الأنصاري وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا.

وقال أحمد بن حنبل لخلف الأحمر: لا أقعد إلا بين يديك، أُمِرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

---

(١) ح. ظ: الواو ساقطة.
(٢) هـ: الإطلاع.
(٣) هـ: تشييخ.
(٤) ح. ظ: يكرموها.
(٥) ظ: لم.
(٦) هـ: ونيته ساقطة.

وقال الغزالي: لا يُنال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع. قال ومهما أشار عليه شيخه بطريق في التعليم فليقلده وليدع رأيه، فخطأ مرشده أنفع له من صوابه[1]. وقد نبه الله تعالى على ذلك في قصة موسى الكليم[2] والخضر عليه السلام بقوله: إنك لن تستطيع معي صبراً. في الرسالة والعلم، حتى شرط عليه السكوت، فقال: ﴿لا تَسْألني عن شيءٍ حتى أُحدث لك منه ذكراً﴾[أ].

الثالث: أن ينظره بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال، فإن ذلك أقرب إلى نفعه به. وكان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيء وقال: اللهم استُر عيبَ شيخي عني، ولا تذهب بركة علمه مني. وقال الشافعي (ر): كنت أُصفّح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها. وقال الربيع: والله ما جرأت[3] أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة له. وحضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك فاستند إلى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت إليه شريك، ثم أعاد[4]، فأعاد شريك بمثل ذلك. فقال: أتستخف بأولاد الخلفاء؟ قال: لا، ولكن العلم أجلّ عند الله من أن أُضيّعه. ويُروى: العلم أزْيَن عند أهله من أن يضيعوه.

وينبغي ألا يخاطب شيخه «بتاء» الخطاب «وكَافِه»، ولا يناديه من بُعدٍ، بل يقول: يا سيدي ويا أستاذي. وقال الخطيب: يقول يا أيها المعلم أو أيها الحافظ ونحو ذلك. وما تقولون في كذا. وما رأيكم في كذا، وشبه ذلك. ولا يسميه في غيبته أيضاً باسمه إلا مقروناً بما يشعر بتعظيمه، كقوله: قال الشيخ أو الأستاذ كذا. أو قال شيخنا، أو قال حجة الإسلام ونحو ذلك.

---

(١) هـ: في نفسه زائدة.
(٢) ح. ظ: الكليم ساقطة.
(٣) ح. ظ: اجترأت.
(٤) هـ: عاد.

(أ) القرآن: الكهف/ ٦٩.

الرابع: أن يعرف له حقه ولا ينسى فضله. قال شُعْبَة: كنت إذا سمعت من(الرجل الحديث كنت له عبداً ما حُيي وقال ما سمعت)[1] من أحد شيئاً إلا واختلفت إليه أكثر مما سمعت منه. ومن ذلك أن يعظِّم حضرته ويردَّ غيبته ويغضب لها. فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس. وينبغي أن يدعو له مدة حياته، ويرعى ذرِّيته وأقاربه وأودّاءه بعد وفاته.

ويتعاهد[2] زيارة قبره والاستغفار له، والصدقة عنه، ويسلك في السمت والهدى مسلكه، ويراعي في العلم والدين عادته، ويقتدي بحركاته وسكناته في عاداته وعباداته ويتأدب بآدابه ولا يدع الاقتداء به.

الخامس: أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه أو سوء خُلق، ولا يصدّه ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته، ويتأوَّل أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل. ويبدأ هو عند[3] جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار، وينسب الموجب إليه، ويجعل العتب منه عليه، فإن ذلك أبقى لمودَّة شيخه، وأحفظ لقلبه وأنفع للطالب في دنياه وآخرته. وعن بعض السَّلف: من لم يصبر على ذلك التعليم بقي عمره في عَماية الجهالة. ومن صَبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة. ولبعضهم:

اصبر لدائك إن جفوتَ طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت معلما

وعن ابن عباس: ذللت طالباً فعززت مطلوباً. وقال المعافىٰ بن عمران: مثل الذي يغضب على العالم مثل الذي يغضب على أساطين الجامع. وقال الشافعي(ر): قيل لسفيان بن عُيَيْنَة أن قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب[4] عليهم يوشك أن يذهبوا ويتركوك... فقال للقائل: هم حمقى، إذاً مثلك، إذا[5]

---

(١) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٢) هـ: يتعهد.
(٣) ح. ظ: عن.
(٤) ح. ظ: يغضب.
(٥) ح: إن.

تـركوا مـا ينفعهم لسوء خُلقي. وقـال أبو يـوسف: خمسة يجب عـلى النـاس[1] مداراتهم. وعدَّ منهم العَالِم ليُقتبس من عِلْمِه.

السادس: أن يشكر الشيخ على توفيقه[2] على ما فيه فضيلة، وعلى توبيخه على ما فيه نقيصه. أو على كسل يعتريه أو قصور يعانيه، أو غير ذلك مما في اتفاقه[3] عليه، وتوبيخه إرشاده وصلاحه. ويعدُّ ذلك من الشيخ من نعم الله تعالى عليه باعتناء الشيخ به ونظره إليه. فإن ذلك أمْيل[4] لقلب الشيخ، وأبعث على الاعتناء بمصالحه.

وإذا وَقَفَهُ الشيخ على دقيقة من أدب، أو نقيضَة صدرت عنه[5] وكان يعرفه من قبل، فلا يظهر أنه كان عارفاً به وغفل عنه. بل يشكر الشيخ على إفادته ذلك واعتنائه بأمره. فإن كان له في ذلك عذر وكان إعلام الشيخ به أصلح فلا بأس به، وإلا تركه الا أن يترتب على ترك بيان العذر مفسدة، فيتعينَّ إعلامه به.

السابع: أن لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام إلا باستئذان، سواء كان الشيخ وحده أم كان معه غيره. فإن استأذن بحيث يعلم الشيخ ولم يأذن له انصرف ولا يكرر الاستئذان. وإن شك في علم الشيخ به فلا يزيد في الاستئذان فـوق ثلاث طـرقات بـالباب أو الحلقـة. وليكن طرق البـاب خفيفاً[6] بـأدب، بأطراف[7] الأصابع ثم بالأصابع، ثم بالحلقة قليلاً. فإن كان الموضع بعيداً عن الباب والحلقة، فلا بأس برفع ذلك بقدر ما يسمع لا غير. وإذا أذن وكانوا جماعة يُقدَّم أفضلهم وأسنَّهم بالدخول والسلام[8] عليه، ثم يسلم عليه الأفضل فالأفضل.

(١) هـ: الإنسان.

(٢) هـ: توقيفه.

(٣) هـ: إيقافه.

(٤) هـ: أمثل.

(٥) هـ: منه

(٦) ح. هـ: خفيا.

(٧) هـ: بأظفار.

(٨) ح. ظ: والسلام ساقطة.

وينبغي أن يدخل على الشيخ كامل الهيئة، مطهَّر البدن والثياب نظيفهما[1]، بعدما يحتاج إليه من أخذ ظِفر وشَعرٍ وقطع رائحة كريهة، لا سيما إن كان يقصد مجلس العلم، فإنه مجلس ذِكْرٍ واجتماع في عبادة.

ومتى دخل على الشيخ في غير المجلس العام وعنده من يتحدث معه فسكتوا عن الحديث، أو دخل والشيخ[2] وحده يصلي أو يذكر أو يكتب أو يطالع، فترك ذلك أو سكت، فلم يبدأه بكلام أو بسط حديث، فلْيُسلّم ويخرج سريعاً إلا أن يحثَّه الشيخ على المكث. وإذا مكث فلا يطيل إلا أن يأمره بذلك.

وينبغي أن يدخل على الشيخ أو يجلس عنده وقلبه فارغ من الشواغل له، وذهنه صاف لا في حال نعاس أو غضب أو جوع شديد أو عطش أو نحو ذلك، لينشرح صدره لما يُقال ويعي ما يسمعه. وإذا حضر مكان الشيخ ولم يجده جالساً، انتظره كي لا يفوِّت على نفسه درسه، فإن كل درس يفوت لا عوض له. ولا يطرق عليه ليخرج إليه، وإن كان نائماً صبر حتى يستيقظ أو ينصرف ثم يعود. والصبر خير له. فقد روي أن[3] ابن عباس كان يجلس في طلب العلم على باب زيد بن ثابت حتى يستيقظ، فيقال له: الا نوقظه لك؟ فيقول: لا، ربما طال مقامه وقرعته الشمس. وكذلك كان السلف يفعلون. ولا يطلب من[4] الشيخ إقراءه في وقت يشق عليه فيه أو لم تجر عادته بالاقراء فيه، ولا يخترع عليه وقتاً خاصاً به دون غيره وإن كان رئيساً أو[5] كبيراً، لما فيه من الترفع[6] والحمق على الشيخ والطلبة والعلم. وربما استحيا الشيخ منه فترك لأجله ما هو أهم عنده في ذلك الوقت ولا يُفْلِح الطالب. فإن بدأه الشيخ بوقت معين أو خاص لعذر[7] عائق له عن الحضور

---

(١) ح. ظ: نظيفها.
(٢) ح. ظ: الواو ساقطة.
(٣) هـ: عن.
(٤) ح. ظ: من ساقطة.
(٥) هـ: أو ساقطة.
(٦) ح. ظ: التواقع.
(٧) هـ: بعذر!

مع الجماعة أو لمصلحة رآها الشيخ فلا بأس بذلك.

الثامن: أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المقرىء، أو متربعاً بتواضع وخضوع وسكون وخشوع، ويصغي إلى الشيخ ناظراً إليه ويُقبل بكلِّيته عليه، متعقلاً لقوله بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام مرة ثانية، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه لغير[1] حاجة، ولا سيما عند بحثه له أو عند كلامه معه، فلا ينبغي أن ينظر إلا إليه، ولا يضطرب لضجة يسمعها أو يلتفت إليها، ولا سيما عند بحثه[2] له، ولا ينفض كمَّه ولا يحسر عن ذراعيه، ولا يعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما من أعضائه[3]. ولا يضع يده على لحيته أو فمه أو يعبث بها في أنفه أو يستخرج بها[4] منه شيئاً. ولا يفتح فاه ولا يقرع سِنَّه ولا يضرب الأرض براحته، ولا[5] يخطَّ عليها باصبعه[6]. أو يشبك بيديه أو يعبث بإزاره. ولا يستند بحضرة الشيخ إلى حائط أو مخدة أو درابزين أو يجعل يده عليها، ولا يُعطي الشيخ جَنْبَه أو ظهره، ولا يعتمد على يده إلى ورائه أو جنبه.

ولا يُكثر كلامه من غير حاجة، ولا يحكي ما يضحك منه أو ما فيه بذاءة[7]. أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب. ولا يضحك لغير عجب، ولا يعجب دون الشيخ. فإن غلبة تبسَّم تبسماً بغير صوت البتَّة. ولا يكثر التنحنح من غير حاجة ولا يبصق ولا يتنخع ما أمكنه. ولا يلفظ النخامة من فيه. بل يأخذها من فيه بمنديل أو خُرقة أو طرف ثوبه. ويتعاهد تغطية

---

(١) هـ: بغير.
(٢) هـ: بحث.
(٣) هـ: إعطائه.
(٤) هـ: منها.
(٥) ح. ظ: أو.
(٦) هـ. جـ: بأصابعه.
(٧) ح: ظ: بذاءة.

أقدامه وإرخاء ثيابه وسكونَ يديه[1] عند بحثه أو مذاكرته. وإذا عطس خفض صوته جهده وستر وجهه بمنديل أو نحوه. وإذا تثاءب سَتَرَ فاه بعد رده جهده. وعن علي رضي الله عنه قال: من حق العالم عليك أن تسلِّم على القوم عامة. وتخصه بالتحية، وأن تجلس أمامه. ولا تشيرنَّ عنده بيدك[2]، ولا تغمز بعينيك غيره. ولا تقولنَّ قال فلان خلاف قوله، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تطلبنَّ عثرته، وإن زلَّ قبلت معذرته. وعليك أن توقِّره لله تعالى. وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته. ولا تسارَّ في مجلسه. ولا تأخذ بثوبه. ولا تلحّ عليه إذا كَسُل.

ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة ينتظر متى يسقط عليك منها شيء. ولقد جمع رضي الله عنه في هذه الوصية ما فيه كفاية...

قال بعضهم: ومن تعظيم الشيخ الا يُجلس إلى جانبه ولا على مصلّاه أو وسادته. وإن أمره الشيخ بذلك فلا يفعله إلا إذا جزم عليه جزماً تشقّ[3] عليه مخالفته. فلا بأس بامتثال أمره في تلك الحال. ثم يعود إلى ما يقتضيه الأدب. وقد تكلم الناس في أي الأمرين أولى أن يعتمد امتثال الأمر أو سلوك الأدب؟ والذي يترجح ما قدمته من التفصيل. فإن جزم الشيخ بما أمره به بحيث يشق عليه مخالفته، فامتثال الأمر أولى وإلَّا فسلوك الأدب أولى لجواز أن يقصد الشيخ خيره وإظهار احترامه والاعتناء به، فيقابل هو ذلك بما يجب من تعظيم الشيخ والأدب معه.

التاسع: أن يُحسن خطابه مع الشيخ بقدر الإمكان، ولا يقول له: «لِمَ» «ولا»[4]. ولا «نُسَلِّم». ولا[5] «من نقل هذا» ولا «أين موضعه» وشبه ذلك. فإذا أراد استفادته تلطَّف في الوصول إلى ذلك. ثم هو في مجلس آخر أولى على سبيل الإفادة[6]. وعن بعض السلف. من قال لشيخه «لِمَ»، لم يُفلح أبداً. وإذا ذكر

---

(١) ح. ظ: بدنه.
(٢) هـ: بيديك.
(٣) هـ: يشق.
(٤) ح: ساقطة.
(٥) ظ: إلا.
(٦) ح. ظ: الاستفادة.

الشيخ شيئاً فلا يقل: هكذا قلت، أو خطر لي أو سمعت، أو هكذا قال فلان، الا أن يعلم إيثار الشيخ ذلك. وهكذا ألا يقول فلان خلاف هذا. أو روى[1] فلان خلافه، أو هذا غير صحيح، ونحو ذلك. وإذا أصرَّ الشيخ على قول أو دليل ولم يظهر له، أو على خلاف صواب سهواً، فلا يُغيِّر وجهه أو عينيه أو يشير إلى غيره كالمنكر لما قاله. بل يأخذه ببِشْر ظاهر وإن لم يكن الشيخ مصيباً لغفلة أو سهوٍ أو قصور نظر في تلك الحال. فإن العصمة في البشر للأنبياء ﷺ. وليتحفظ من مخاطبة الشيخ بما يعتاده بعض الناس في كلامه، ولا يليق خطابة الشيخ[2] به، (مثل: «أيْش» بك، «وفهمت»، «وسمعت»، «وتدري»، «ويا إنسان»، ونحو ذلك. وكذلك لا يحكي له ما خوطب به غيره مما لا يليق خطاب الشيخ به)[3] وإن كان حاكياً، بمثل: قال فُلان لفُلان «أنت قليل البِرّ» «وما عندك خير»، وشبه ذلك، بل يقول إذا أراد الحكاية ما جرت العادة الكِنايَة بل مثل: قال فلان «الأبْعَد» «قليل البِرّ»، «وما عندك البعيد[4] خير» وشبه ذلك. ويتحفَّظ[5] من مفاجأة الشيخ بصورة ردّ عليه، فإنه يقع ممن لا يُحْسن الأدب من الناس كثيراً، مثل أن يقول للشيخ: أنت قلت كذا ما قلت كذا. ويقول له الشيخ: مُرادك في سؤالك كذا، أو خطر لك كذا، فيقول: «لا»، أو ما هذا مُرادي، أو[6] ما خطر لي هذا، أو شبه ذلك.

بل طريقه أن يتلطَّف بالمكاسرة[7] عن الرد على الشيخ. وكذلك إذا استفهمه الشيخ استفهام تقرير وجزم، كقوله[8]. ألَم تقلْ كذا، أوَليس مرادك كذا. فلا يبادر بالرد عليه بقوله: «لا» أو ما هو مرادي، بل يسكت أو يوري عن ذلك بكلام

---

(١) هـ: وروى.

(٢) هـ: الشيخ ساقطة.

(٣) ح. ظ: ما بين القوسين ساقط.

(٤) هـ: البعيد ساقطة.

(٥) هـ: وليتحفظ.

(٦) هـ: وشبه.

(٧) هـ: بالمعاسرة.

(٨) ظ: تقوله.

لطيف يفهم الشيخ قصده (منه فإن لم يكن بد من تحرير قصده)[1] هكذا، أو أدعو[2] إلى قصد كذا ويعيد كلامه. ولا يقل الذي قلته أو الذي قصدته لتضمنه[3] الرد عليه. وكذلك ينبغي أن يقول في موضع «لِمْ» «ولا نُسَلِّم»، فإن قيل لنا كذا، أو فإن منعنا ذلك كذا[4] أو فإن سُئِلْنا عن كذا، أو فإن أورد كذا وشبه ذلك، ليكون مستفهماً للجواب، سائلاً له بحسن أدب(ولطف عبارة)[5].

العاشر: إذا سمع الشيخ يذكر حكْماً في مسألة أو فائدة مستغربة، او يحكي حكاية أو يُنشد شعراً وهو يحفظ ذلك، أصغى اليه[6] إصغاء مستفيد له في الحال، متعطش اليه فرح به وكأنه لم يسمعه قط. قال عطاء: إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه، فأُريه من نفسي أني لا أُحسن منه شيئاً. وعنه قال: ان الشاب ليتحدث بحديث فأسمع له كأني لم أسمعه، ولقد سمعته قبل أن يولد. فإن سأله الشيخ عند الشروع في ذلك عن حفظه له فلا يجيب «بنعم»، لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه، ولا يقل«لا»[7] لما فيه من الكذب. بل يقول: أُحب أن استفيده[8] من الشيخ وأن أسمعه[9] منه، أو بعد عهدي، أو هو من جهتكم أصحّ.

فإن علم من حال الشيخ أنه يؤثر العلم بحفظه له أمره[10]، أو أشار إليه بإتمامه امتحاناً لصبْطِه أو حفْظِه لإظهار تحصيله، فلا بأس باتباع غرض الشيخ ابتغاء مرضاته وازدياداً لرغبته فيه[11]. ولا ينبغي للطالب أن يكرر سؤال ما يعلمه،

---

(١) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٢) هـ: أعود.
(٣) هـ: ليضمنه.
(٤) ح. هـ: كذا ساقطة.
(٥) ح. ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٦) ظ: إليه ساقطة.
(٧) ظ: لا ساقطة.
(٨) هـ: أسمعه.
(٩) هـ: استفيده.
(١٠) هـ: مسرّة.
(١١) هـ: وازدياد الرغبة.

ولا استفهام ما يفهمه، فإنه يضيِّع الزمان وربما[1] ضجر الشيخ. قال الزهري: إعادة الحديث أشدّ من نقل الصخر وينبغي ألا يقصر في الإصغاء والتفهم[2]. أو يشغل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيد الشيخ ما قال، لأن ذلك إساءة أدب. بل يكون مصغياً لكلامه[3] حاضر الذهن لما يسمعه من أول مرة. وكان بعض المشايخ لا يعيد مثل هذا إذا استعاده ويزيده عقوبة له. إذا لم يسمع كلام الشيخ لبعده أو لم يفهمه مع الإصغاء إليه والإقبال عليه، فله أن يسأل الشيخ إعادته أو تفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف.

الحادي عشر: أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسألة أو جواب سؤال منه أو من غيره، ولا يساوقه فيه ولا يظهر معرفته أو إدراكه له قبل الشيخ، فإن عرض الشيخ عليه ابْتِدَاءً منه فلا بأس. وينبغي أن لا يقطع على الشيخ كلامه ـ أي كلام كان ـ ولا يسابقه فيه ولا يساويه[4]، بل يصبر حتى يفرغ الشيخ من كلامه ثم يتكلم. ولا يتحدث مع غيره والشيخ يتحدث معه أو مع جماعة المجلس.

وليكن ذهنه حاضراً في جهة الشيخ[5] بحيث إذا أمره بشيء أو سأله عن شيء أو أشار إليه، لم يحوجه إلى إعادته ثانياً، بل يبادر إليه مسرعاً ولم يعاوده فيه أو يعترض عليه بقوله: فإن لم يكن الأمر كذا؟

الثاني عشر: إذا ناول الشيخ شيئاً يناوله باليمين[6] فإن كان ورقة يقرأها كَفُتْيَا أو قصة أو مكتوب شرعي ونحو ذلك، نشرها ثم دفعها إليه، ولا يدفعها إليه مطوية إلا إذا علم أو ظنَّ[7] إيثار الشيخ لذلك. وإذا أخذ من الشيخ ورقة بادر إلى

---

(١) ظ: وربما ساقطة.
(٢) ح. هـ: التفهيم.
(٣) ح. ظ: مضيّعاً لكماله.
(٤) هـ: يساوقه.
(٥) هـ: في كل وقت زائدة.
(٦) ح. هـ: إذا ناوله الشيخ شيئاً تناوله باليمين وإذا ناول الشيخ شيئاً ناوله باليمين.
(٧) ح. ظ: تحرَّ.

أخذها منشورة قبل أن يطويها أو يُرَتِّبَها. وإذا ناول الشيخ كتاباً ناوله إيَّاه مهيأً لفتحه والقراءة فيه من غير احتياج إلى إدارته، فإن كان النظر في موضع معين فليكن مفتوحاً كذلك. ويعيِّن له المكان. ولا يحذف اليه الشيء حذفاً من كتاب أو ورقة أو غير ذلك. ولا يمدَّ يديه إذا كان بعيداً ولا يُحْوِج الشيخ إلى مد يده أيضاً لأخْذٍ منه أو عَطَاء. بل يقوم إليه قائماً ولا يزحف زحفاً. وإذا جلس بين يديه كذلك[1]. ولا يقْرب منه قُرباً كثيراً يُنسب فيه إلى سوء أدب. ولا يضع يده[2] أو شيئاً من يديه أو ثيابه على ثياب الشيخ، أو وسادته أو سجادته، ولا يشير إليه بيديه أو يقرّبها من وجهه أو صدره أو يَمُسَّ[3] بها شيئاً من بدنه أو ثيابه، وإذا ناوله قلماً ليكتب به فَلْيَمده[4] قبل إعطائه إياه. فإن وضع بين يديه دواة وضعها مفتوحة الأغطية مهيأة للكتابة منها. وإن ناوله سكيناً فلا يصوِّب إليه شفرتها ولا نصابها ويده قابضة على الشفرة، بل يكون عرضاً وحدُّ شفرتها إلى جهته قابضاً على طرف النصاب مما يلي النصل، جاعلاً نصابها على يمين الآخذ. وإن ناوله سجادة ليصلي عليها نشرها أولاً. والأدب أن يفرشها هو عند قصد ذلك. وإذا فرشها ثنى مؤخر طرفها الأيسر كعادة الصوفية. فإن كانت مثنيَّة جعل طرفها إلى يسار المصلي. وإن كان فيها صورة محراب تحرى به جهة القبلة إن أمكن.

ولا يجلس بحضرة الشيخ على سجادة ولا يصلي عليها إذا كان المكان طاهراً. وإذا قام الشيخ بادر القوم(إلى أخذ السجادة)[5] والأخذ بيده أو عضده إن احتاج. وإلى تقديم نعله إن لم يشق ذلك على الشيخ، ويقصد بذلك كله التقرب الى الله تعالى وإلى قلب الشيخ. وقيل أربعة لا يأنف الشريف منهن وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم يتعلم منه، والسؤال عما لا يعْلَم، وخدمته للضيف.

---

(١) هـ: لذلك.
(٢) هـ: رجله زائدة.
(٣) ظ. هـ: يَمرَّ.
(٤) هـ: ليمد.
(٥) هـ: ما بين القوسين ساقط.

الثالث عشر: إذا مشى مع الشيخ فليكن أمامه بالليل ووراءه[1] بالنهار، الا أن يقتضي الحال خلاف ذلك لزحمة أو غيرها. ويتقدم عليه في المواطىء المجهولة الحال لوحل أو خوص[2]. أو المواطن الخطرة ويتحرّز عن[3] ترشيش ثياب الشيخ. وإذا كان في زحمة صَانَهُ عنها ببدنه إما من قدَّامه أو من ورائه. وإذا مشى أمامه التفت إليه[4] بعد كل قليل. فإن كان وحده والشيخ[5] ويكلمه في حالة المشي وهما في ظل فليكن عن يمينه، وقيل عن يساره متقدماً[6] عليه قليلاً ملتفتاً إليه، ويعرِّف الشيخ بمن قَرُبَ منه أو قَصَدَهُ من الأعيان إن لم يعلم الشيخ به. ولا يمشي إلى جانب الشيخ إلا لحاجة أو إشارة منه. ويحترز من مزاحمته بكتفه أو بركابه إن كانا راكبين، وملاصقة ثيابه، ويؤثره بجهة الظل في الصيف وبجهة الشمس في الشتاء، وبجهة الجدار في الرَصَفَانات ونحوها. وبالجهة التي لا تقرع الشمس فيها وجهه إذا التفت إليه. ولا يمشي بين الشيخ وبين من يحدثه، ويتأخر عنهما إذا تحدثا، أو يتقدم ولا يقرب ولا يستمع ولا يلتفت. فإن أدخلاه[7] في الحديث فليأت من جانب آخر ولا يشق بينهما، وإذا مشى مع الشيخ اثنان فاكتنفاه، فقد رجَّح بعضهم أن يكون أكبرهما عن يمينه، وإن لم يكتنفاه تقدم أكبرهما وتأخر أصغرهما. وإذا صادف الشيخ في طريقه بدأه بالسلام عليه، ويقصده وإن كان بعيداً، ولا يناديه ولا يُسَلِّم عليه من بعيد ولا من ورائه، بل يقرب منه ويتقدم عليه ثم يُسلِّم. ولا يشير عليه بالأخذ في طريق حتى يستشيره، ويتأدب فيما يستشيره الشيخ بالرد على رأيه. ولا يقول لما رآه الشيخ وكان خطأ: «هذا خطأ»، «ولا هذا ليس برأي»، بل يُحسن خطابه في الرد إلى الصواب، كقوله: يظهر أن المصلحة في كذا، فلا يقول: «الرأي عندي كذا»، ويشبه ذلك.

---

(١) هـ: خلفه.

(٢) هـ: كوكل أو حوص.

(٣) هـ: من.

(٤) ظ: إليه ساقطة.

(٥) ح. ظ: أو.

(٦) ظ: مقدماً.

(٧) هـ: أدخله.

الفصل الثالث

في آدابه في درسه(1) وقراءته في الحلقة وما يعتمده فيها مع الشيخ والرفقة

وهو ثلاثة عشر نوعاً:

الأول: أن يبتدىء أولاً في كتاب(2) الله العزيز. فيُتقنه حفظاً ويجتهد على إتقان تفسيره(3) وسائر علومه، فإنه أصل العلوم وأُمها وأهمها. ثم يحفظ من كل فنٍّ مختصراً يجمع فيه بين طرفيه من الحديث وعلومه والأصوليين(4) والنحو والتصريف. ولا يشتغل بذلك كله عن دراسة القرآن وتعهده وملازمة وِرْدٍ(5) منه كل يوم. أو أيام أو جمعة كما تقدم. وليحذر من نسيانه بعد حفظه فقد ورد فيه(6) أحاديث تَزْجُر عنه.

ويشتغل بشرح تلك المحفوظات على المشايخ، وليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب ابتداء(7)، بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليماً له وأكثر تحقيقاً فيه،

---

(١) ح: دروسه.
(٢) ح: بكتاب.
(٣) هـ: بتفسيره..
(٤) ح. هـ: الأصولين.
(٥) هـ: ورده.
(٦) ح. ظ: في.
(٧) هـ: أبداً.

وتحصيلاً منه،، وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه، وذلك بعد مراعاة[1] الصفات المتقدمة من الدين والصلاح والشفقة وغيرها. فإن كان شيخه لا يجد من قراءته وشرحه على غيره معه فلا بأس بذلك، والا راعى قلب شيخه إن كان أرجاهم نفعاً، لأن ذلك أنفع له وأجمل لقلبه عليه. وليأخذ من الحفظ والشرح ما يمكنه ويطيقه حاله من غير إكثار يُمِلُّ، ولا تقصير يُخِلُّ بجودة التحصيل.

الثاني: أن يحذر في ابتداء أمره من الاشتغال في الاختلاف بين العلماء أو بين الناس مطلقاً في العقليات والسمعيات، فإنه يُحيِّر الذهن ويُدهش العقل. بل يُتقن أولاً كتاباً واحداً في فن واحد، (أو كتباً في فنون إن كان يحتمل ذلك على طريقة واحدة)[2] يرتضيها له شيخه. فإن كانت طريقة شيخه نقل المذاهب[3] والاختلاف ولم يكن له رأي واحد، قال الغزالي: فليحذر منه فإن ضرره أكثر من النفع به.

وكذلك يحذر في ابتداء طلبه من المطالعات في تفاريق المصنفات فإنه يضيِّع زمانه ويفرِّق ذهنه، بل يعطي الكتاب الذي يقرأه أو الفن الذي يأخذ، كليته حتى يتقنه. وكذلك يحذر من التنقل من كتاب إلى كتاب[4] من غير موجب فإنه علامة الضجر وعدم[5] الفلاح[6].

أما إذا تحققت أهليته، وتأكدت معرفته. فالأولى أن لا يدع فَنّاً من العلوم الشرعية إلا نظر فيه، فإن ساعدته القدرة[7] وطول العمر على التبحُّر فيه فذاك، وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك[8] العلم. ويعتني من كل

---

(١) ح. ظ: مرعاة ساقطة.
(٢) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٣) ح. ظ: المذهب.
(٤) ظ: الكتاب.
(٥) ظ: وعلام.
(٦) هـ: الافلاح.
(٧) هـ: ساعده القدر.
(٨) ح. ظ: لذلك.

فن بالأهم فالأهم، ولا يغفلن عن العمل الذي هو مقصود العلم[1].

الثالث: أن يصحِّح ما يقرأه قبل حفظه تصحيحاً متقناً، إما على الشيخ أو على غيره ممن[2] يعيِّنه، ثم يحفظه بعد ذلك حفظاً محكماً، ثم يكرر عليه بعد حفظه تكراراً جيداً. ثم يتعاهده في أوقات يقررها لتكرار مَوَاضيه. ولا يحفظ شيئاً قبل تصحيحه لأنه يقع في التحريف والتصحيف. وقد تقدم أن العلم لا يؤخذ من الكتب فإنه من أضرِّ المفاسد.

وينبغي أن يحضر معه الدواة والقلم والسكين للتصحيح، ويضبط[3] ما يصححه لغة وإعراباً. وإذا ردَّ الشيخ عليه لفظةً وظن أن رده خلاف الصواب أو علمه، كرر اللفظة مع ما قبلها ليتنبه إليها الشيخ، أو يأتي بلفظ الصواب على سبيل الاستفهام، فربما وقع ذلك سهواً أو سَبَقَ لسانه لغفلة، ولا يقل: «بل هي كذا». بل يتلطف في تنبيه الشيخ لها. فإن لم ينتبه قال: هل يجوز فيها كذا؟ فإن رجع الشيخ إلى الصواب فلا كلام، وإلا ترك تحققها إلى مجلس آخر بتلطف، لاحتمال أن يكون الصواب مع الشيخ. وكذلك إذا تحقق خطأ الشيخ في جواب مسألة لا يفوت تحقيقه ولا يعسر تداركه، فإن كان كذلك كالكتابة في رقاع الاستفتاء، وكون السائل غريباً أو بعيد الدار أو مُشنِّعاً، تعيَّن تنبيه الشيخ على ذلك في الحال بإشارة أو تصريح. فإن ترك ذلك خيانة للشيخ، فيجب نصحه بتلفّظه[4] لذلك بما أمكن من تَلَطُّف[5] أو غيره. وإذا وقف على مكان كَتَبَ قبالته: بلغ الغرض[6] أو التصحيح.

الرابع: أن يبكِّر بسماع الحديث ولا يهمل الاشتغال به وبعلومه، والنظر في

---

(١) هـ: المقصود بالعلم.
(٢) هـ: مما.
(٣) هـ: لضبط.
(٤) ح. ظ: يتيقظه.
(٥) ح. ظ: تلفظ.
(٦) هـ: العرض.

إسناده ورجاله ومعانيه وأحكامه. وفوائده ولغته وتواريخه. ويعتني أولاً بصحيحي البخاري ومسلم، ثم ببقية الكتب الأعلام والأصول المعتمدة في هذا الشأن. كموطأ مالك وسنن أبي داود والنِسَائي[1] وابن مَاجَة «وجامع الترمذي» «ومُسند» الشافعي. ولا ينبغي أن يقتصر على أقل من ذلك. ونعم المعين للفقيه كتاب «السنن الكبير» لأبي بَكْرٍ البَيْهقي. ومن ذلك المسانيد: كمسند أحمد بن حنبل وابن حميد والبزَّاز[2]. ويعتني بمعرفة صحيح الحديث وَحَسَنَه وضعيفه[3]. وسنده ومُرسله وسائر أنواعه. فإنه أحد جناحي العالم بالشريعة والمبينّ لكثير من الجناح الآخر وهو القرآن. ولا يقنع بمجرد السماع كغالب محدِّثي هذا الزمان، بل يعتني بالدراية أشد من اعتنائه بالرواية. قال الشافعي(ر): من نظر في الحديث قَوِيَتْ حجته. ولأن الدراية هي المقصود بنقل الحديث وتبليغه.

الخامس: إذا شرح محفوظاته المختصرات وضبط ما فيها من الإشكالات والفوائد المهمات، انتقل إلى مبحث المبسوطات مع المطالعة الدائمة، وتعليق ما يمر به أو يسمعه من الفوائد النفيسة والمسائل الدقيقة، والفروع الغريبة وحل المشكلات، والفروق بين أحكام المتشابهات من جميع أنواع العلوم. ولا يَستَقل بفائدة يسمعها أو يتهاون بقاعدة يضبطها. بل يبادر إلى تعليقها وحفظها. ولتكن همته في طلب العلم عالية، ولا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيره. ولا يقتنع من إرث الأنبياء بيسيره، ولا يؤخِّر تحصيل فائدة تمكَّن منها أو يشغله الأمل والتسويف عنها. فإن للتأخير آفات. ولأنه إذا حصَّلها في الزمن الحاضر حصّل في الزمان الثاني غيرها. ويغتنم وقت[4] فراغه ونشاطه وزمن عافيته وشرخ شبابه ونباهة خاطره وقلة شواغله، قبل عوارض البطالة أو موانع الرياسة. قال عمر(ر): تفقهوا قبل

---

(١) ح. ظ: والنسائي ساقطة.
(٢) هـ: البزار.
(٣) ح. ظ: ضعفه.
(٤) ظ: الوقت قبل.

(أ) ظ: تصفيح رقم (٩٠) وهو خطأ.

أن تسودوا. وقال الشافعي: تفقه قبل أن تُرأَس. فإذا رَأست فلا سبيل إلى التفقه. وليحذر من نظر إلى نفسه بعين الكمال[1] والاستغناء عن المشايخ. فإن ذلك عين الجهل وقلة المعرفة. وما يفوته أكثر مما حصَّله. وقد تقدم حديث ابن جبير: لا يزال الرجل عالماً ما تعلّم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى فهو أجهل[2] ما يكون.

وإذا كملت أهليته وظهرت فضيلته ومرَّ على أكثر كتب الفن المشهورة[3] بحثاً ومراجعة ومطالعة اشتغل بالتصنيف وبالنظر في مذاهب العلماء سالكاً طريق الإنصاف فيما يقع له من الخِلاف كما تقدم في باب[4] أدب العالم.

السادس: أن يلزم حلقة شيخه في التدريس والإقراء. بل وجميع مجالسه إذا أمكن، فإنه لا يزيده إلا خيراً وتحصيلاً وأدباً وتفضيلاً. كما قال عليّ(ر) في حديثه المتقدم: ولا يشبع[5] من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة ينتظر متى يسقط عليك منها شيء. ويجتهد في مواظبة خدمته[6] والمسارعة إليها. فإن ذلك يُكسبه شرفاً وتبجيلاً. ولا يقتصر في الحلقة على سماع درسه فقط إذا أمكنه فإن ذلك علامة قصور الهمة وعدم الفلاح وبطء التنبه[7]. بل يعتني بسائر الدروس المشروحة ضبطاً وتعليقاً ونقلاً إن احتمل ذهنه ذلك. ويشارك أصحابها حتى كأن كل[8] درس منها له. ولَعَمري إنّ الأمر كذلك[9] للحريص، فإن عزَّ ضبط جميعها اعتنى بالأهم منها.

وينبغي أن يتذاكر مواظبو مجلس الشيخ ما وقع فيه من الفوائد والضوابط

---

(١) هـ: الجهال.
(٢) هـ: أسوأ.
(٣) ح. ظ: أو المشهور.
(٤) هـ: باب ساقطة.
(٥) هـ: تتسع.
(٦) هـ: على مواظبته في خدمته.
(٧) ح. ظ: وربط التنبيه.
(٨) ظ: لك.
(٩) ح. ظ: لذلك.

والقواعد وغير ذلك، وأن يعيدوا كلام الشيخ فيما بينهم. فإن في المذاكرة نفعاً عظيماً. وينبغي المذاكرة في ذلك عند القيام من مجلسه، قبل تفرق أذهانهم وتشتت خواطرهم وشذوذ بعض ما سمعوه عن أفهامهم، ثم يتذاكرونه في بعض الأوقات. قال الخطيب: وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل. وكان جماعة من السلف يبتدئون[1] في المذاكرة من العشاء، فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح، فإن لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه وكرر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه، وليعلق ذلك على خاطره، فإن تكرار المعنى على القلب كتكرار اللفظ على اللسان سواء بسواء. وقلَّ أن يفلح من اقتصر على الفكر والتعقل بحضرة الشيخ خاصة، ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده.

السابع: إذا حضر مجلس الشيخ سلم على الحاضرين بصوت يُسْمِعُ جميعهم. وخصَّ الشيخ بزيادة تحية وإكرام، وكذلك يسلِّم إذا انصرف. وعدّ بعضهم خلق العلم في حال أخذهم فيه من المواضع التي لا يسلِّم فيها، وهذا خلاف ما عليه العُرف[2] والعمل. لكن يتجه ذلك في شخص واحد مشتغل بحفظ درسه وتكراره. وإذا سلَّم عليه فلا يتخطى رقاب الحاضرين إلى قرب الشيخ من لم يكن منزلته كذلك، بل يجلس حيث انتهى به المجلس كما ورد في الحديث. فإن صرَّح له الشيخ والحاضرون بالتقدم أو كانت منزلته، أو كان يعلم ايثار الشيخ والجماعة لذلك فلا بأس. ولا يكلِّم أحداً من مجلسه، أو يزاحمه قصدا، فإن اثره الغير بمجلسه[3] لم يقبل إلا أن يكون في ذلك مصلحة يعرفها القوم وينتفعون بها، من بحثه مع الشيخ لقربه منه، أو لكونه كبير السن أو كثير الفضيلة والصلاح.

ولا ينبغي لأحد أن يؤثر بقربه من الشيخ إلا من هو أوْلى بذلك لِسِنّه أو عِلْمِه أو صَلَاحِه، بل يحرص على القرب من الشيخ إذا لم يرتفع في المجلس على من هو أفضل منه. وإذا[4] كان الشيخ في صدر مكان فأفضل الجماعة أحق بما على

---

(١) هـ: يبدؤن.

(٢) ح. ظ: العرف ساقطة.

(٣) ح. ظ: بمجلسه.

(٤) هـ: وإن.

يمينه ويساره. وإن كان على طرف صُفَّةٍ أو نحوها فالمبجلون مع الحائط ومع طرفها قبالته. وينبغي للرفقاء في دروس أن يجتمعوا من جهة واحدة ليكون نظر الشيخ إليهم جميعاً عند الشرح، ولا يخصَّ بعضهم في ذلك دون البعض. (وقد جرت العادة في مجالس التدريس بجلوس المتميِّزين قبالة وجه المدرس، والمبجلين من بعيد، أو زائر عن يمينه ويساره)[1].

الثامن: أن يتأدب مع حاضري مجلس الشيخ، فإنه أدب معه واحترام لمجلسه وهم رفقاؤه، فيوقّر أصحابه ويحترم كبراءه وأقرانه. ولا يجلس وسط الحلقة ولا قدام أحد إلا لضرورة كما في مجالس الحديث[2]. ولا يفرِّق بين رفيقين ولا بين متصاحبين، إلا بإذنهما معاً ولا فوق من هوَ أَوْلى منه. وينبغي للحاضرين إذا جاءهم[3] القادم أن يرحبوا به ويوسعوا له ويفسحوا لأجله ويكرموه بما يكرم به مثله. وإذا فسح له في المجلس وكان حرجا ضم نفسه. ولا يتوسع ولا يعطي أحداً منهم جنبه ولا ظهره ويتحفظ من ذلك ويتعهده عند بحث الشيخ له. ولا يَجْنَح إلى جاره أو يجعل مرفقه قائماً في جنبه، أو يخرج على بقية[4] الحلقة بتقدم أو تأخر. ولا يتكلم في أثناء درس غيره أو درسه بما لا يتعلق به، أو بما[5] يقطع عليه بحثه. وإذا شرع بعضهم في درس فلا يتكلم بكلام يتعلق بدرس فرغ ولا بغيره مما لا يفوت فائدته إلا بإذن من الشيخ أو صاحب الدرس.

وإن أساء بعض الطلبة أدباً على غيره لم ينهره غير الشيخ باشارته أو سراً[6] بينهما على سبيل النصيحة. وإن أساء أحد أدبه على الشيخ تعيَّن على الجماعة انتهاره وردُّه والانتصار للشيخ بقدر الإمكان وفاءً لحقه. ولا يشارك أحدٌ من الجماعة في حديثه ولا سيما الشيخ.

---

(١) هـ: ما بين القوسين ورد قبل العبارة الأخيرة.

(٢) ح: الحديث.

(٣) هـ: جاه. ح. جاهئم.

(٤) هـ: نسق.

(٥) ح. ظ: ما.

(٦) ظ: أجراً.

قال بعض الحكماء: من الأدب أن لا يشارك الرجل في حديثه وإن كان أعلم به. وأنشد الخطيب في هذا المكان:

ولا تشارك في الحديث أهله وإن عرفت فرعه وأصله

فإن علم إيثار الشيخ ذلك والمتكلم فلا بأس. وقد تقدم ذلك مفصلا في الفصل قبله.

التاسع: أن لا يستحي من سؤال ما أشكل عليه وتفهم[1] ما لم يتعلمه بلطف وحسن خطاب وأدب وسؤال. وقالت عائشة[2](ر): رحم الله نساء الأنصار لم يكن الحياء يمنعهم أن يتفقهن في الدين. وقالت أُم سليم لرسول الله ﷺ: إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا[3] هي احتلمت؟ ولبعض العرب:

وليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول (السكوت)[4] على الجهل

وقد قيل من رقَّ وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال. وقال عمر (ر): من رقَّ وجهه رقَّ علمه. وقال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحٍ ولا متكبر.

ولا يسأل عن شيء في غير موضعه إلا لحاجة أو علم بإيثار الشيخ ذلك. وإذا سكت الشيخ عن الجواب لم يلحّ عليه، وإن أخطأ في الجواب فلا يرد في الحال عليه، وقد تقدم. وكما لا ينبغي للطالب أن يستحي من السؤال كذلك[5] لا يستحي من قوله «لم أفهم» إذا سأله الشيخ، لأن ذلك يفوّت عليه مصلحته العاجلة والآجلة. أما العاجلة فحفظ المسألة ومعرفتها واعتقاد الشيخ فيه الصدق والورع والرغبة، والآجلة سلامته من الكذب والنفاق واعتياده التحقيق.

---

(١) ظ: تفهم.
(٢) ح. ظ: عمر.
(٣) ظ. هـ: إن.
(٤) ظ: السؤال.
(٥) ظ: كذلك ساقطة. ح. فكذلك.

قال الخليل[1] منزلة الجهل بين الحيا والأَنَفة. وقد تقدم في آداب العالم؛ أنه لا يسأل المستحي «هل فهمت»، بل يتوصل إلى العلم بفهمه بطرح المسائل. فإن سأله فلا يقل «نعم»، حتى يتضح له المعنى إيضاحاً جلياً كيلا يفوته الفهم ويدركه بكذبه الإثم.

العاشر: مراعاة نوبته فلا يتقدم عليها بغير رضى من هي له. ورُوي أن أنصارياً جاء إلى النبي ﷺ فسأله، وجاء رجل من ثقيف فقال النبي ﷺ: يا أخا ثقيف إن الأنصاري (وقد سبقك بالمسألة، فاجلس كيما نبدأ بحاجة الأنصاري)[2] قبل حاجتك. قال الخطيب: يُستحب للسابق أن يقدم على نفسه من كان غريباً لتأكد حرمته ووجوب وقته. وروى في ذلك حديثاً[3] عن ابن عباس وابن عمر.

وكذلك إذا كان للمتأخر حاجة ضرورية علمها المتقدم، أو أشار الشيخ بتقدمه فيستحب إيثاره، فإن لم يكن شيء من ذلك ونحوه فقد كره قوم الإيثار بالنوبة، لأن قراءة العلم والمنازعة[4] اليه قربة، والإيثار بالقرب مكروه. ويحصل تقدم النوبة بتقدم الحضور في مجلس الشيخ أو إلى مكانه. ولا يسقط حقه بذهابه إلى ما يضطر إليه من قضاء حاجة وتجديد وضوء أو عاد بعده. وإذا تساوى اثنان وتنازعا أقرع بينهما، أو يقدم الشيخ أحدهما إن كان متبرعاً وإن عليه إقراؤهما بالقرعة، ومعيد المدرسة إذا شرط عليه إقراء أهلها فيها في وقت فلا يقدم عليهم الغرباء فيه بغير إذنهم.

الحادي عشر: أن يكون جلوسه بين يدي الشيخ على ما تقدم تفصيله وهيئته في أدبه مع شيخه. ويحضر كتابه الذي يقرأ فيه[5] معه ويحمله بنفسه، ولا يضعه حال القراءة على الأرض مفتوحاً، بل يحمله بيده ويقرأ منه. ولا يقرأ حتى يستأذن

---

(١) ظ: الخليل ساقطة.

(٢) ظ: ما بين القوسين ساقط.

(٣) هـ: حديثان.

(٤) هـ: المسارعة.

(٥) ح. فيه ساقطة. هـ: منه.

الشيخ. ذَكَره الخطيب عن جماعة من السلف وقال: يجب أن لا يقرأ حتى يأذن له الشيخ ولا يقرأ عند شغل القلب[1] أو ملله أو غمِّه أو غضبه أو جوعه أو عطشه أو نعاسه أو استيفازه أو تعبه. وإذا رأى الشيخ قد آثر الوقوف اقتصر ولا يحوجه إلى قوله: اقْتصر. وإن لم يظهر له ذلك فأمره بالاقتصار اقتصر حيث أمره ولا يستزيده. وإذا عينَّ له قدراً فلا يتعداه. ولا يقول طالب لغيره اقتصر إلا باشارة[2] الشيخ أو ظهور إيثاره ذلك.

الثاني عشر: إذا حضرت نوبته استأذن الشيخ كما ذكرناه. فإن أذن له استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يسمي الله تعالى ويحمده ويصلي على النبي ﷺ وعلى آله وصحبه، ثم يدعو للشيخ ولوالديه ولمشايخه ولنفسه ولسائر المسلمين. وكذلك يفعل كلما[3] شرع في قراءة (درس أو تكراره. أو مطالعته أو مقابلته في حضور الشيخ[4]، أو في غيبته إلا أنه يخص الشيخ بذكره في الدعاء وعند قراءته (عليه، ويترحَّم على مصنف الكتاب عند قراءته). وإذا[5] دعا[6] الطالب للشيخ قال: رضي الله عنكم أو عن شيخنا وإمامنا ونحو ذلك. ويقصد به الشيخ. وإذا فرغ من الدرس دعا للشيخ أيضاً ويدعو الشيخ أيضاً للطالب كما[7] دعا له، فإن ترك الطالب الاستفتاح بما ذكرناه جهلاً أو نسياناً نبهه عليه. وعلَّمه إياه وذكَّره به، فإنه من أهم الآداب[8]. وقد ورد الحديث في الابتداء في الأمور المهمة بحمد الله تعالى. وهذا منها.

الثالث عشر: أن يرغِّب بقية الطلبة في التحصيل، ويدلَّهم على مظَّانه

(١) هـ: قلب الشيخ.
(٢) هـ: بإذن.
(٣) ظ: كما.
(٤) ظ: ما بين السوسين ساقط.
(٥) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٦) ظ: قرأ.
(٧) هـ: كلما.
(٨) ظ: الأدب.

ويصرِّف عنهم الهموم المُشْغِلَة عنه، ويهوِّن عليهم مؤونته ويذاكرهم بما حصل له من الفوائد والقواعد والغرائب. وينصحهم في الدين، فبذلك يستنير قلبه ويزكو عمله. ومن بَخلَ عليهم لم يَثْبُتْ علمه وإن ثَبتَ له، لم يتم. وقد[1] جَرَّب ذلك جماعة من السلَف. ولا يفخر عليهم أَو يُعجب بجودة ذهنه، بل يحمد الله تعالى على ذلك ويستزيده منه بدوام شكره.

---

(١) ظ: وإن.

البَابُ الرابِع

في الأدبِ مَعَ الكتبِ
التي هيَ آلة العلم

في الأدب مع الكتب التي هي آلة العلم

وما يتعلق بتصحيحها، وضبطها، وحملها ووضعها، وشرائها، ونسخها، وإعارتها[1]، وغير ذلك

وفيه أحد عشر نوعاً

الأول: ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه، شراءً وإلا فأجارة أو عارية لأنها آلة التحصيل[2]. ولا يجعل تحصيلها وكثرتها حظه من العلم، وجمعها نصيبه من الفهم، كما يفعله كثير من المتحلين للفقه[3] والحديث، وقد أحسن القائل:

إذا لم تكن حافظاً واعياً   فجمعك للكتب لا ينفع

وإذا أمكن تحصيلها بشراء لم يشتغل بنسخها، ولا ينبغي أن يشتغل بدوام النسخ إلا فيما يتعذر عليه تحصيله لعدم ثمنه أو أجرة استنساخه. ولا يهتم المشتغل[4] بالمبالغة في تحسين الخط، وإنما يهتم بصحيحه وتصحيحه، ولا يستعير كتابا مع إمكان شرائه أو إجارته.

الثاني: يستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها. وكره عاريتها قوم، والأول أوْلى لما فيه من الإعانة على العلم على ما في[5] مطلق

---

(١) ح. ظ: وإعارتها، ساقطة.
(٢) ح. ظ: التحصيل ساقطة.
(٣) ح. ظ: الفقه.
(٤) ح. ظ: المشتغل، ساقطة.
(٥) ح. ظ: معها.

العارية من الفضل والأجر. قال رجل لأبي العتاهية: أعرني كتابك، فقال: إني أكره ذلك. فقال: أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره، فأعاره. وكتب الشافعي إلى محمد بن أبي(١) الحسن:

يا ذا الذي لم تر عيـ ـن من راه مثله
العلم يأبى أهله أن يمنعوه أهله

وينبغي للمستعير أن يشكر للمعير ذلك، ويُجزيه خيراً. ولا يطيل مقامه عنده من غير حاجة، بل يرده إذا قضى حاجته ولا يحبسه إذا طلبه المالك أو استغنى عنه. ولا يجوز أن يصلحه بغير اذن صاحبه. ولا يحشيه ولا يكتب شيئا في بياض فواتحه أو خواتمه إلا إذا علِم رضا صاحبه. وهو كما يكتبه المحدِّث على جزء سمعه أو كتبه، فلا يسوِّده ولا يعيره غيره، ولا يودعه لغير ضرورة حيث يجوز شرعاً ولا ينسخ منه بغير إذن صاحبه.

فإن كان الكتاب وَقْفاً على من ينتفع به غير معيَّن، فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط أولاً(٢) باصلاحه ممن هو أهلاً لذلك. وحسن أن يستأذن الناظر فيه.

إذا نسخ(٣) منه بإذن صاحبه أو ناظره فلا يكتب منه والقرطاس في بطنه أو على كتابته. ولا يضع المحبرة عليه ولا يمرّ بالقلم الممدود فوق كتابته. وانشد بعضهم:

أيها المستعير مني كتاباً ارض لي فيه ما لنفسك ترضى

وأنشدوا(٤) في إعارة الكتب ومنها قطعاً كثيرة لا يتحملها هذا المختصر.

الثالث: إذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه على الأرض مفروشاً منشوراً، بل يجعله بين كتابين أو شيئين أو كرسي الكتب المعروف، كيلا يسرع

---

(١) هـ: أبي ساقطة.
(٢) هـ: ولا.
(٣) هـ: الواو زائدة.
(٤) ح. ظ: وأنشد.

تقطع[1] حَبْله فإذا وضعها في مكان مصفوفة فليكن على كرسي أو تحت خشب أو نحوه، والأولى أن يكون بينها[2] وبين الأرض خلو ولا يضعها على الأرض كيلا تتندّى أو تبلى.

وإذا وضعها على خشب أو نحوه[3] جعل فوقه وتحتها ما يمنع مِنْ تآكل[4] جلودها به. وكذلك يجعل ما[5] بينها وبين ما يصادفها ويسندها[6] من حائط أو غيره. ويراعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها أو شرفها، ومصنِّفها وجلالتهم. فيضع الأشرف أعلى الكل ثم يراعي التدريج، فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل، والأولى أن يكون في خريطة ذات عروة في مسمار أو وتدٍ في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس، ثم كُتُبُ الحديث الصرف كصحيح مسلم، ثم تفسير القرآن ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين ثم أصول الفقه، ثم الفقه[7] ثم النحو ثم التصريف ثم أشعار العرب ثم العروض، فإن استوى كتابان في أكثرهما قرآناً أو حديثاً، فإن استويا فبجلالة المصنِّف، فإن استويا فأقدمهما كتابة وأكثرهما وقوعاً في أيدي العلماء والصالحين، فإن استويا فأصحّهما.

وينبغي أن يكتب اسم الكتاب عليه في جانب آخر الصفحات من أسفل ويجعل رؤوس حروف هذه الترجمة إلى الغاشية التي في[8] جانب البسملة. وفائدة هذه الترجمة معرفة الكتاب وتيسير اخراجه من بين الكتب. وإذا وضع الكتاب على أرض أو تخت فلتكن[9] الغاشية التي من جهة البسملة. وأول الكتاب إلى فوق.

---

(١) هـ: تقطيع.
(٢) هـ: بينه.
(٣) هـ: ونحوه.
(٤) ظ: أكل.
(٥) ح: ما ساقطة.
(٦) ظ: الواو ساقطة.
(٧) ظ: ثم الفقه، ساقطة.
(٨) ح. ظ: من.
(٩) ح. ظ: فليكن.

ولا يُكثر وضع الرَّدّة في أثنائه كيلا[1] يسرع تكسرها. ولا يضع ذوات القطع الكبير فوق ذوات القطع الصغير كيلا يكثر تساقطها. ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها، ولا مخدة ولا مروحة ولا مكبساً ولا مسنداً ولا متّكياً ولا مقتلة للبق وغيره، لاسيما في الورق لأنه[2] أشدّ. ولا يطوي حاشية الورقة أو زاويتها، ولا يعلِّم بعود أو شيء جاف بل بورقة أو نحوها، وإذا ظفر فلا يكبس ظُفْره قوياً.

الرابع: إذا استعار كتاباً فينبغي أن يتفقده عند إرادة أخذه وَرَدِّه، وإن اشترى كتاباً تعهد أوَّله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه، وتصفَّح[3] أوراقه أو اعتبر صحته. ومما يغلب على الظن صحته إذا ضاق الزمان عن تفتيشه. ما قاله الشافعي (ر) قال: إذا رأيتَ الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهد له بالصحة. وقال بعضهم: لا يضيء الكتاب حتى يظلم، يريد إصلاحه.

الخامس: إذا نسخ من كتب العلوم الشرعية، فينبغي أن يكون على طهارة، مستقبل القبلة، طاهر البدن والثياب بِحبرٍ طاهر، ويبتدىء كل كتاب بكتابة «بسم الله الرحمن الرحيم».

فإن كان الكتاب مبدوءاً بخطبة[4] تتضمن: حمد الله تعالى والصلاة على رسوله ﷺ، كتبها بعد البسملة. وإلا كتب هو ذلك بعدها. ثم كتب ما في الكتاب.

وكذلك يفعل في ختم الكتاب أو آخر كل جزء منه. بعدما يكتب آخر الجزء الأول أو الثاني مثلاً ويتلوه كذا أو كذا إن لم يكن كَمُلَ[5] الكتاب. ويكتب إذا أكمل الكتاب «تمَّ الكتاب الفلاني». ففي ذلك فوائد كثيرة. وكلما[6] كتب اسم الله

---

(١) ظ: لكيلا.

(٢) هـ: فهو على الورق.

(٣) هـ: ويصفح.

(٤) ح. ط: فيه خطبه.

(٥) هـ: تم.

(٦) ظ: كما.

تعالى أتبعه بالتعظيم، مثل، تعالى أو سبحانه أو عزَّ وجل أو تقدَّس ونحو ذلك، وكلما كتب اسم النبي ﷺ، كتب بعده[1] الصلاة ويصلي هو عليه بلسانه أيضاً. وجرت العادة[2] عادة السلف والخلف بكتابة (صلى الله عليه وسلم) ولعل ذلك لقصد موافقة الأمر في الكتاب العزيز في قوله (صلّوا عليه وسلّموا تسليماً) وفيه بحث يطول ههنا.

ولا يختصر الصلاة في الكتابة[3] ولو وقعت في السطر[4] مراراً كما يفعل بعض المحررين[5] المتخلفين فيكتب: «صلع» أو «صلم» أو «صلعم». وكل ذلك غير لائق[6] بحقه (ﷺ)، وقد ورد في كتابة[7] الصلاة بكمالها أو ترك اختصارها آثار كثيرة. وإذا مر[8] بذكر الصحابي لا سيما الأكابر منهم كتب «رضي الله عنه» ولا يكتب «الصلاة والسلام» لأحد غير الأنبياء والملائكة الأتباع لهم. وكلما مرَّ بذكر أحد السلف فعل ذلك أو كتب «رحمه الله» ولا سيما الأئمة الأعلام وهداة الإسلام.

السادس: ينبغي أن يتجنب الكتابة الدقيقة في النسخ، فإن الخط علامة فأبْيَنُهُ أحْسَنُهُ. وكان بعض السلف إذا رأى خطّاً دقيقاً قال هذا خط من لا يوقن من الله عز وجل. وقال بعضهم: اكتب ما ينفعك وقت حاجتك إليه، ولا تكتب ما لا تنتفع به وقت الحاجة، والمراد وقت الكبر وضعف البصر. وقد يقصد عن بعض السفّارة بالكتابة الدقيقة خِفَّة المحمل، وهذا وإن كان قصداً صحيحاً إلا أن المصلحة الفائتة به في آخر الأمر أعظم من المصلحة الحاصلة بخفة المحمل[9].

---

(١) هـ: بعد.
(٢) هـ: العادة، ساقطة.
(٣) هـ: الكتاب.
(٤) ح. ظ: الأسطر.
(٥) ح. ظ: المحرومين.
(٦) هـ: ليق.
(٧) ح. ظ: الكتاب.
(٨) ح. ظ: بدأ.
(٩) هـ: الحمل.

والكتابة بالحبر والمداد أوْلى[١] لأنه أثْبَت. قالوا: ولا يكون القلم صلباً جداً فيمنع سرعة الجري، ولا رخْواً فيسرع إليه الحفا[٢]. قال بعضهم إذا أردت أن تجوِّد خطك فأطلْ جلفتك واسْمِنْها وحرِّف قطتك وأيْمِنْها. وليكن السكين حادَّة جداً (لبراية الأقلام وكشط الورق خاصة الصلب، وليَكن ما يُقشَطُ عليه القلم صلباً جداً، وهم يحمدون القصب الفارسي اليابس جداً)[٣] والأبنوس الصلب الصقل.

السابع: إذا صُحح الكتاب بالمقابلة على أصله الصحيح أو على شيخ، فينبغي له أن يشكِّل المشكَّل، ويُعْجِمُ المستعجَم ويضبط الملتبس ويتفقد مواضع التصحيح[٤]، وإذا احتاج ضبط ما في مَتْنِ الكتاب إلى ضبطه في الحاشية وبيانه فَصَّل، وكتب عليه بياناً كذا، إن احتاج إلى ضبطه مبسوطاً في الحاشية وبيان تفصيله، مثل: أن يكون في المتن اسم «حريز» فيقول في الحاشية هو «بالحاء» المهملة «وراء» بعدها. و«بالياء» الخاتمة وبعدها «زاي». أو هو «بالجيم» و«الياء» والخاتمة بين «راءين مهملتين»، وشبه ذلك. وقد جرت العادة في الكتابة بضبط الحروف المُعجمة بالنقط. وأما المهملة، فمنهم من يجعل الإهمال علامة، ومنهم من ضبطه بعلامات تدل عليه[٥] من قلب النقط. وحكاية المثل أو بِشَكْلةٍ صغيرةٍ كالهلال وغير ذلك.

وينبغي أن يكتب على ما صححه وضبطه في الكتاب وهو في محل شك عند مطالعته أو احتمال «صحّ» صغيرة ويكتب فوق ما وقع في التصنيف أو في النسخ وهو خطأ «كذا» صغيرة ويكتب في الحاشية صوابه «كذا» إن كان يتحققه. وإلا فليعلِّم عليه ضبَّة وهي صورة رأس صاد، تكتب فوق الكتابة غير متصلة بها. فإذا تحققه بعد ذلك، وكان المكتوب صواباً زاد تلك «الصاد» «حاءً» وإلا كتب الصواب في الحاشية كما تقدم.

---

(١) ح. ظ: أولى ساقطة.
(٢) هـ: الحفاء.
(٣) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٤) ح. ظ: التصحيف.
(٥) هـ: تذكر عليها.

وإذا وقع في النسخة زيادة، وإن[1] كانت كلمة واحدة[2] فله أن يكتب عليها «لا» وأن يضرب عليها. وإن كانت أكثر من ذلك كلمات أو سطراً[3] فإن شاء كتب فوق أولها «من» أو كتب «لا» وعلى آخرها «إلى»، ومعناه من هنا ساقط إلى هنا. وإن شاء ضرب على الجميع بأن يخط عليه خطاً دقيقاً يحصل به المقصود ولا يسوِّد الورق. ومنهم من يجعل مكان الخط نقطاً متتالية. وإذا تكررت الكلمة سهواً في الكتاب ضرب على الثانية لوقوع الأُولى صواباً في موضعها، إلا إذا كانت الأولى آخر السطر، فإن الضرب عليها أَوْلى، صيانة لأول سطر إلا إذا كانت مضافاً إليها. فالضرب على الثانية أَوْلى لاتصال الأُولى بالمضاف.

الثامن: إذا أراد تخريج شيء في الحاشية وتسمى اللحق «بفتح الحاء» علَّم له في موضعه بخط منعطف قليلاً إلى جهة التخريج[4] وجهة اليمين أَوْلى إن أَمكن. ثم يكتب التخريج[5] في محاذاة العلامة صاعداً إلى أعلى الورقة لا نازلاً إلى أسفلها، لاحتمال تخريجٍ آخر بعده. ويجعل رؤوس الحروف إلى جهة اليمين سواء[6] كان في جهة[7] يمين الكتابة أو يسارها. وينبغي أن يحسب الساقط وما يجيء من الأسطر قبل أن يكتبها، فإن كان سطرين أو أكثر جعل آخر سطر منها يلي[8] الكتابة إن كان التخريج عن يمينها، وإن كان التخريج عن يسارها جعل أَوَّل السطر مما يليها.

ولا يوصل الكتابة والأسطر بحاشية الورقة، بل يدع مقداراً يحتمل الحك عند حاجته مرات[9] ثم يكتب في آخر التخريج «صحّ» وبعضهم يكتب بعد[10] «صح»

---

(١) ح: فإن.
(٢) هـ: واحدة ساقطة.
(٣) ح. ظ: أو سطر ساقطة.
(٤) ح. ظ: الترجيح.
(٥) ح. ظ: الترجيح.
(٦) ح. ظ: سوى.
(٧) ح: وجهت.
(٨) ح. ظ: إلى.
(٩) ح. ظ: مرار.
(١٠) ح. ظ: بعد ساقطة.

الكلمة التي تلي آخر التخريج[1] في متن الكتابة، علامة على اتصال الكلمة[2].

التاسع: لا بأس بكتابة الحواشي والفوائد والتنبيهات المهمة على حواشي كتاب يملكه، ولا يكتب في آخر «صح» فرقاً بينه وبين التخريج. وبعضهم يكتب عليه حاشية أو فائدة. وبعضهم يكتبه[3] في آخرها. ولا ينبغي[4] أن يكتب إلا الفوائد المهمة المتعلقة بذلك الكتاب مثل تنبيه على إشكال أو احتراز أو رمز أو خطأ أو نحو ذلك. ولا يسوِّده بنقل المسائل والفروع الغريبة، ولا يُكثر الحواشي كثرة تَظلم الكتاب، أو تضيع مواضعها على طالبها. ولا ينبغي الكتابة بين الأسطر، وقد فعله بعضهم بين الأسطر المفرقة بالحُمرة وغيرها، وتَرْكُ ذلك أَوْلى مطلقاً.

العاشر: لا بأس بكتابة الأبواب والتراجم والفصول بالحُمْرة، فإنه أظهر في البيان وفي فواصل الكلام. وكذلك لا بأس بالرمز[5] به على أسماء أو مذاهب أو أقوال أو طرق أو أنـزاع أو لغات أو أعـداد ونحو ذلـك. ومتى فعل ذلـك بين اصطلاحه في فاتحة الكتاب ليفهم الخائض فيه معانيها. وقد رَمَزَ بالأحمر جماعة من المحدِّثين والفقهاء والأصوليين وغيرهم لقصد الاختصار. فإن لم يكن ما ذكرناه من الأبواب والفصول والتراجم بالحُمْرة، أتى بما يميزه عن غيره من تغليظ للقلم وطول الشق واتحاده في السطر ونحو ذلك، ليسهل الوقوف عليه عند قصده، وينبغي أن يفصل بين كلْ كلامين بدائرة أو ترجمة أو قلم غليظ. ولا يوصل الكتابة كلها على طريقة[6] واحدة، من عسر استخراج المقصود وتضييع[7] الزمان فيه، ولا يفعل إلا غبي جداً.

الحادي عشر: قالوا الضرب أَوْلى من الحك لا سيما في كتب الحديث. لأن

---

(١) هـ: الكلام.
(٢) هـ: الكلام.
(٣) ح. ظ: يكتب.
(٤) هـ: لا ينبغي ساقطة.
(٥) هـ: بالرمز ساقطة.
(٦) هـ: طريق.
(٧) هـ: يضيع.

فيه تهمة وجهالة فيما كان أو كُتِب، ولأن زمانه أكثر فيضيع، وفعله أخطر. فربما ثقب الورقة وأفسد ما ينفذ إليه فأضعفها. فإن كان إزالة نقطة[1] أو شَكْلَة ونحو ذلك، مالحَكّ أوْلى. وإن[2] صحح الكتاب على الشيخ أو في المقابلة علَّم على موضع وقوفه «بَلَغَ» أو «بَلَغْتُ» أو «بُلِغَ الغرض»[3] أو غير ذلك مما يفيد معناه، فإن ذلك في سماع الحديث ما كتب: «بلغ في الميعاد الأول»، أو الثاني إلى آخرها، فتعينً عدده. قال الخطيب: فيما إذا صلَّح شيئاً يبَّس[4] المصلَّح بنحاتة الساج أو غيره من الخشب ويتقي التَّتْرِيبَ[5].

---

(١) ح. ظ: لقطه.

(٢) هـ: وإذا.

(٣) هـ: العرض.

(٤) ح. هـ: ينشر.

(٥) هـ: وبقي الشريب.

الباب الخامس

في آداب سكنى المدارس للمنتهي والطالب ...

في آداب سكنى المدارس للمنتهي والطالب لأنها مساكنهم في الغالب

وهو أحد عشر نوعاً:

الأول: أن ينتخب لنفسه من المدارس بقدر الإمكان ما كان واقفه أقرب إلى الورع وأبعد من البِدَع. بحيث يغلب على ظنه أن المدرسة ووقفها من جهة حلال. وأن معلومها أن تناوله من طيب المال، لأن الحاجة إلى الاحتياط في المسكن كالحاجة إليه في المأكل والملبس وغيره. ومهما أمكن التنزه عما[1] أنشأه الملوك الذين لم يُعلم حالهم في بنائها وَوَقْفِها، فهو أولى، وإما من عُلِمَ حاله، فالإنسان على بيِّنة[2] من أمره مع أنه قلَّ أن يخلو جميع أعوانهم عن ظلم وعسف.

الثاني: أن يكون المدرِّس بها ذا رِيَاسة وفضل وديانة وعقل ومهابة، وجلالة وناموس وعدالة ومحبة في الفضلاء، وعَطْف على الضعفاء، يقرِّب المخلصين ويرغِّب المشتغلين ويبعد اللَّعانين[3]، ويُنْصِف النجابين[4]، حريصاً على النفع مواظباً على الإفادة، وقد تقدم سائر آدابه. فإن كان لها[5] معيد، فليكن من

(١) ظ: بما.

(٢) ظ. ح: نيته.

(٣) هـ: اللقائين.

(٤) هـ: البحاثين.

(٥) هـ: لها ساقطة.

صلحاء الفضلاء وفضلاء العلماء، صبوراً على أخلاق الطلبة، حريصا على فائدتهم وانتفاعهم به قائماً بوظيفة اشتغالهم. وينبغي للمدرس الساكن بالمدرسة أن لا يُكْثِر البروز والخروج من غير حاجة، فإن كثرة ذلك تُسْقطُ(١) حرمته من العيون، ويواظب على الصلاة في الجماعة فيها ليقتدي به أهلها ويتعودوا ذلك. فينبغي أن يجلس كل يوم في وقت معيَّن ليقابل معه الجماعة الذين يطالعون درسه(٢) من كتبهم، ويصححونها ويضبطون شكلها ولغاتها، واختلاف النسخ في بعض المواضع وأوْلاها بالصحة، ليكونوا في مطالعتها على يقين، ولا يضيِّع فكرهم ويُتعب بالشك فيها سِرَّهم.

وينبغي للمعيد في المدرسة أن يقدِّم اشغال أهلها على غيرهم في الوقت المعتاد(٣) أو المشروط.

إن كان يتناول معلوم الإعادة لأنه متعيّن(٤) عليه ما دام معيدا. واشغال غيرهم نَفلٌ أو فرض كفاية. وأن يعلم المدرس أو الناظر ممن يُرجى فلاحه ليُزاد ما يستعين به ويشرح صدره، وأن يطالبهم بعرض محفوظاتهم إن لم يعيّن لذلك غيره، ويعيد لهم ما توقف فهمه عليهم من دروس المدرِّس. ولهذا سُمي معيدا. وإذا شرط الواقف استعراض المحفوظ كل شهر أو كل فصل على الجميع. خفف قدر الغرض على من له أهليَّة البحث والفكر والمطالعة أو المناظرة وإن الجمود(٥) على نفس(٦) المسطور يشغل عن الفكر الذي هو أُمُّ التحصيل والتفقه.

أما المبتدئون والمنتهون(٧) فيطَالب كل منهم على ما يليق بحاله وذهنه.

---

(١) هـ: يسقط.
(٢) ح. هـ: دروسه.
(٣) ظ: المتعادل.
(٤) هـ: معيّن.
(٥) هـ: الحمود.
(٦) هـ: النفس.
(٧) ح. ظ: المنتهيون.

الثالث: أن يتعرَّف بشروطها ليقوم بحقوقها ومهما أمكنه التنـزه عن معلوم المدارس فهو أَوْلى، لا سيما في المدارس التي ضُيِّق في شروطها وشُدِّدَ في وظائفها، كما قد بلي أكثر فقهاء الزمان به، نسأل الله الغنى عنه بِمَنِّه وكَرَمِه في خير وعافية. فإن كان تحصيله البُلْغَة يضيع زمانه عن تمام(١) الاشتغال أو لم يكن له حرفة أُخرى يحصل بُلْغَتَه وبُلْغَة عياله، فلا بأس بالاستعانة بذلك بِنيَّةِ التفرغ لأخذ العلم ونفع الناس به. ولكن يتحرى القيام بجميع شروطها. ويحاسب نفسه على ذلك ولا [يحلُّه](٢) في نفسه إذا طلب مِنَّة أو [ربحه](٣)، بل يَعدّ ذلك نعمة من الله تعالى عليه ويشكره عليه إذا وفق له من يكلِّفه القيام بما يخلصه من ربْقَةِ الحرام والإثم. واللبيب من كان ذا همة عالية ونفس سامية.

الرابع: إذا حصر الواقف سكنى المدرسة على المرتبين بها دون غيرهم لم يسكن فيها غيرهم. فإن فعل كان عاصياً ظالماً بذلك، وإن لم يحصر(٤) الواقف ذلك فلا بأس إنما كان الساكن أهلاً لها. وإذا سكن في المدرسة غير مرتب بها فليكرم(٥) أهلها ويقدمهم على نفسه فيما يحتاجون إليه منها. ويحضر درسها لأنه أعظم الشعائر المقصودة ببنائها ووقفها لما فيه من القراءة والدعاء للواقف والاجتماع على مجلس الذِّكر وتذاكر العلم، فإذا ترك الساكن فيها(٦) ذلك فقد ترك المقصود ببناء مسكنه الذي هو فيه، وذلك يخالف مقصود الواقف ظاهراً، فإن لم يحضر غاب عنها وقت الدرس لأن عدم مجالستهم مع حضوره من غير عذر ظاهر(٧) إساءة أدب وترفُّع عليهم، واستغناء عن فوائدهم واستهتار بجماعتهم. فإن حضر فيها فلا يخرج في حال اجتماعهم من بيته إلا لضرورة. فلا يتردد إليه مع حضورهم ولا يدعو إليه

(١) هـ: ويعطله زائدة.
(٢) ح. ظ: يجد. هـ: يحل.
(٣) ح. هـ. ظ: وبخ عليه.
(٤) ح. ظ: يحضر.
(٥) ظ: فليلزم.
(٦) ظ: فيما.
(٧) هـ: ظاهر ساقطة.

أحداً ويخرج منه أحد، ولا يتمشى في المدرسة ويرفع صوته بقراءة أو تكرار أو بحث، رفعاً منكراً، أو يغلق بابه أو يفتحه بصوت ونحو ذلك، لما في ذلك كله من إساءة الأدب على الحاضرين والحمق عليهم. ورأيتُ بعض العلماء القضاة الأعيان الصلحاء يشدد النكير[1] على فقيه مرّ في المدرسة وقت الدرس مع أنه قيّماً بمريض في المدرسة قريب للمدرس وكان في حاجة له[2].

الخامس: أن لا يشتغل فيها بالمعاشرة والصحبة، أو يرضى سكنها بالمسألة[3] والخطبة بل يقبل على شأنه وتحصيله وما بُنِيَت المدارس[4] له ويقطع العشرة فيها لأنها تُفْسِدُ الحال وتضيع المال كما تقدم. واللبيب المحصِّل يجعل المدرسة منزلاً يقضي وَطَرَهُ منه ثم يرتحل عنه. فإن صاحب من يُعينه على تحصيل مقاصده ويساعده على تكميل فوائده، وينشطه على زيادة الطلب ويخفض عنه ما يجده[5] من الضجر والنَّصَب ممن يوثق بدينه وأمانته ومكارم أخلاقه في مصاحبته، فلا بأس بذلك بل هو أحسن إذا كان ناصحاً له في الله غير لاعب ولا لاهٍ.

وليكن له أنفة من عدم ظهور[6] الفضيلة مع طول القيام في المدارس ومصاحبة الفضلاء من أهلها. ويكرر سماع الدروس فيها ويقدِّم غيره عليه بكثرة التحصيل، وليطالب نفسه كل يوم باستفادة علم جديد ويحاسبها على ما حصّلته فيه[7] ليأكل مقرره فيها حلالاً. فإن المدارس وأوقافها لم تُجْعَل لمجرد المقام[8]، ولا لمجرد التعبّد (بالصلاة والصيام كالخوانك، بل لتكون مُعينة على تحصيل العلم)[9] بالعلم[10] والتفرغ له، والتجرد عن الشواغل في أوطان الأهل والأقارب. والعاقل

---

(١) ظ: الكبير. ح. ساقطة.

(٢) ظ: له ساقطة.

(٣) هـ: بالسكة.

(٤) هـ: المدرسة.

(٥) هـ: يجد.

(٦) ح. ظ: ظهوره.

(٧) هـ: منها.

(٨) هـ: والعشرة زائدة.

(٩) ظ: ما بين القوسين ساقط.

(١٠)ح: بالعلم، ساقطة.

يعلم أن أبرك الأيام عليه يوم يزداد فيه فضيلة وعلماً، ويكسب عدوَّه من الجنِّ والإنْسِ كرباً وغماً.

السادس: أن يكرم[1] أهل المدرسة التي يسكنها بإفشاء السلام وإظهار المودَّة والاحترام، ويراعي[2] لهم حق الجيرة والصحبة والأخوة في الدين والحرفة، لأنهم أهل العلم وحَمَلَته وطلابه. ويتغافل عن تقصيرهم ويغفر زللهم ويستر عوراتهم ويشكر محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم. فإن لم يستقر خاطره لسوء جيرتهم وخبث صفاتهم أو لغير ذلك فليرتحل عنها ساعياً في جمع قلبه واستقرار خاطره، وإذا اجتمع قلبه، فلا ينتقل من غير حاجة، فإن ذلك مكروه للمبتدئين جِداً، وأشد منه كراهية تنقلهم من كتاب إلى كتاب كما تقدم، فلأنه علامة على الضجر واللعب وعدم الفلاح.

السابع: أن يختار لجواره إن أمكن أصلحهم حالاً، وأكثرهم اشتغالاً، وأجودهم طبعاً، وأصونهم عرضاً ليكون معيناً له على ما هو بصدده. ومن الأمثال: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق. والطِبَاع سرَّاقة. ومن آداب[3] الجنس التشبه بجنسه.

والمساكن العالية لمن لا يضعف عن الصعود إليها أوْلى بالمشتغل وأجمع لخاطره، إذا كان الجيران صالحين. وقد تقدم قول الخطيب أن العُرف الغرفات[4] أوْلى بالحفظ، وأما الضعيف والمهتم، ومن يُقْصَد للفتيا والاشتغال عليه، فالمساكن السفلية أوْلى بهم، والمراقي التي تقرب من الباب أو من الدهليز أوْلى بالموثوق بهم، والمراقي الداخلية التي يُحتاج فيها إلى المرور بأرض المدرسة أَوْلى بالمجهولين والمتهمين.

والأوْلى أن لا يسكن المدرسة وسيم الوجه أو صبي ليس له فيها وليٌّ فَطِن،

---

(١) هـ: يلزم.

(٢) هـ: ويرعى.

(٣) هـ: دأب.

(٤) هـ: الغرفات ساقطة.

وأن لا يسكنها نساء في أمكنة يمر الرجال[1] على أبوابها أو لها[2] كُوَى تُشْرِفُ على ساحة المدرسة.

وينبغي للفقيه أن لا يدخل إلى بيت[3] من فيه ريبة أو شرٌّ أو قلة دين. ولا يدخل إليه من يكرهه أهلها أو من ينقل سيئات سكانها أو يُنِمُّ عليهم أو يوقع بينهم أو يشغلهم عن تحصيلهم. ولا يعاشر فيها غير أهلها.

الثامن: إذا كان[4] سكنه في مسجد المدرسة أو في مكان الاجتماع ومروره على حصيره وفرشه، فليحتفظ عند صعوده إليه من سقوط شيء من نعليه ولا يقابل بأسفلهما القبلة ولا وجوه الناس ولا ثيابه بل يجعل أسفل أحدهما إلى أسفل الأخرى بعد نَفْضِها. ولا يلقيهما إلى الأرض بعنف، ولا يتركهما مظنَّة مجالس الناس والواردين إليها غالباً. كطرَفيْ الصُفَّة، بل يتركها إذا تركها في أسفل الوسط ونحوه، ولا يضعها تحت الحُصْرِ في المسجد بحيث تنكسر.

وإذا سكن في البيوت[5] العليا، خفَّف المشي والاستلقاء عليها ووَضْعَ ما يُثْقُل كيلا يؤذي من تحته. وإذا اجتمع اثنان من سكان العلو أو غيرهم في أعلى[6] الدرجة للنزول[7] بدأ[8] أصغرهما للنزول قبل الكبير، والأدب للمتأخر أن يلبث ولا يسرع بالنزول إلى أن ينتهي المتقدم إلى آخر الدرجة من أسفل، فإن كان كبيراً تأكد ذلك. وإن اجتمعا في أسفل الدرجة للطلوع تأخر أصغرهما ليصعد أكبرهما قبله.

التاسع: أن لا يتخذ باب المدرسة مجلساً، بل لا يجلس فيه إذا أمكن إلا

---

(١) ظ: بيان زائدة. ح: تمر.
(٢) ح. ظ: أولها ساقطة.
(٣) ح. ظ: بيته.
(٤) ح. ظ: بلغ زائدة.
(٥) ح. ظ: البيت.
(٦) ح. ظ: المدرسة زائدة.
(٧) هـ: للنزول ساقطة.
(٨) ح. ظ: بَدَرَ.

لحاجة أو في نِدْرَة لِقَبْضٍ أو ضيق صدر. ولا في دهليـزها المهتـوك إلى الطريق، فقـد نُهِيَ عن الجلوس على الطرقات، وهذا منها أو في معناها، لا سيما إن كان ممن يستحيا منه، أو ممن هو في محل تهمة أو لعب، ولأنها في مَظنَّة دخول فقيه بطعامه وحاجته فربما استحيا من الجالس أو تكلف سلامه عليهم، وفي مظنّة دخول نساء من يتعلق بالمدرسة ويشق عليه ذلك ويؤذيه، ولأن في ذلك بطالة وتبذلاً.

ولا تُكْثِر التمشي في ساحة المدرسة بطالاً من غير حاجة إلى راحة أو رياضة أو انتظار أحد. ويقلل الخروج ما أمكنه ويسلِّم على من في الباب إذا مرَّ عليه، ولا يدخل على ميضائها(*) العامة عند الزحام من العامة إلا لضرورة لما فيه من التبذل، ويتأنَّى عنده، ويطرق الباب إن كان مردوداً طرقاً(١) خفيفاً ثلاثاً ثم يفتحه بتأنٍّ(٢)، ولا يستجر بالحائط فينجسِّه، ولا يمسح يده المتنجسة بالحائط أيضاً.

العاشر: أن لا يَنْظُر في بيت أحد في مروره من شقوق الباب ونحوه. ولا يلتفت إليه إن كان مفتوحاً. وإن سلَّم سلَّم وهو مار به من غير التفات، ولا يكثر الإشارة إلى الطاقات لا سيما إن كان فيهن نساء. ولا يرفع صوته جداً(٣) في تكرار أو نداء أحد بحث، ولا(٤) يشوش على غيره ما أمكنه بحضور المصلين(٥) أو حضور أهل الدرس، ويتحفَّظ من شدة وقع القُبْقَاب أو العنف في إغلاق الباب، وإزعاج المشي في الخروج والدخول والصعود والنزول، وطرق باب المدرسة وبشدة لا(٦) يحتاج إليها. ونداء مَنْ بأعلى المدرسة من أسفلها إلا أن يكون بصوت معتدل عند الحاجة. وإذا كانت المدرسة مكشوفة إلى الطريق السالك وكشف باب أو شباك

(*) مكان الاغتسال والوضوء.

(١) ح. ظ: طرقياً.

(٢) ح: يطرق زائدة.

(٣) ح. ظ: جداً ساقطة.

(٤) هـ: كيلا.

(٥) هـ: مطلقاً زائدة.

(٦) ح. ظ: الواو زائدة.

يُحفظ[1] فيها من التجرد عن الثياب وكشف الرأس الطويل من غير حاجة. ويجتنب ما يُعاب، كالأكل ماشياً، وكلام الهزل غالباً، والبسط بالفعل[2] وفرط التمطي، والتمايل على الجنب والقَفَا، والضحك الفاحش بالقهقهة. ولا يصعد إلى سطحها المشرف من غير حاجة أو[3] ضرورة.

الحادي عشر: أن يتقدم على المدرس في حضور موضع الدرس، ولا يتأخر إلى بعد جلوسه وجلوس الجماعة، فيكلفهم المعتاد من القيام وردّ السلام، وربما فيهم معذور فيجد في نفسه مِنَّة ولا يُعْرف عذره. وقد قال السلف: منَ الأدب مع المدرس أن ينتظره الفقهاء ولا ينتظرهم.

وينبغي أن يتأدب في حضور الدرس بأن يحضره على أحسن الهيئات وأكمل الطهارات. وكان الشيخ أبو عمرو يقْطعُ من يحضر من الفقهاء الدرس مُخفّفاً بغير عمامته[4] أو مفكك أزْرَار الفرجيَّة. ويُحْسن جلوسه واستماعه وايراده وجوابه وكلامه وخطابه. ولا يستفتح القراءة والتعوذ قبل المدرس. وإذا دعا المدرس في أول الدرس على العادة أجابه الحاضرون بالدعاء له أيضاً.

وكان بعض مشايخ[5] الزهاد الأعلام يزجر[6] تارك ذلك ويُغلّظ عليه. ويتحفظ من النوم والنعاس والحديث والضحك وغير ذلك مما تقدم في اداب[7] المتعلم.

(ولا يتكلم بين الدرسين إذا ختم المدرس الأول بقوله « والله أعلم» إلا بإذن

---

(١) هـ: تحفظ.
(٢) هـ: ساقطة.
(٣) ح. ظ: ولا.
(٤) هـ: عمامه.
(٥) هـ: أكابر مشايخي.
(٦) ح. ظ: يزبر.
(٧) هـ: أدب.

منه)[1] ولا يتكلم في مسألة أخذ المدرس الكلام في غيرها. ولا يتكلم في شيء حتى ينظر فائدة وموضعاً. ويحذر المجاراة في البحث والمغالبة فيه، فإن ثارت نفسه لَجَمها بلجام الصمت والصبر والإنصات[2]، لما رُوِيَ عنه ﷺ: «من تَرَكَ المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة». فإن ذلك أقطع لانتشار الغضب وأبعد عن منافرة القلوب.

ويجتهد كل الحاضرين على طهارة القلب لصاحبه وخلوِّه عن الحقد. وأن لا يقوم وفي نفسه شيء منه. وإذا قام من الدرس فَلْيَقُلْ ما جاء في الحديث: «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فاغفر لي ذنبي[3]، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

تَمَّ الكتاب المبارك[4] بحمد الله تعالى وتوفيقه[5]. (والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم)[6]. وكان الفراغ منه ليلة السبت السابعة عشر من ربيع الأول المبارك، سنة ألف وثلاثمئة وثمانية عشر[7]، وفرغ المؤلف (ر) من جمعه في رابع عشر ذي الحجة سنة اثنين وسبعين وستمئة. وأنا أقول: اللهم انفعنا بما كتبناه، ووفقنا للعمل به مع الإخلاص والمداومة والقبول، ونسألك أن تصلي على سيدنا محمد أشرف مخلوقاتك كما تحب أن يصلى عليه. وصلِّ على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل طاعتك أجمعين، وارْضَ عنّا بهم يا رب العالمين. والحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً على نعمه السابغة.

---

(١) ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٢) ح: الإنصاف. ظ: الاتصاف. هـ: الابتعاد.
(٣) ح: ظ: ذنبي ساقطة.
(٤) هـ: كتاب الآداب.
(٥) هـ: وحثه.
(٦) ح. ظ: ما بين القوسين ساقط.
(٧) ح: من تعليقة ليلة الاثنين الحادي والعشرين من المحرم المبارك، اثنين وعشرين وتسعماية. (٢١ محرم ٩٢٢ هـ).

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسـول الله، اللهم توفنا عليها[1]، وابعثنا عليها[2] يا أكرم المسؤولين وأوسع المعطين.

(بقلم الفقير إلى ربه المانح)[3]
محمد أبو السادات الدجاني

---

(١) ظ: عليهما.

(٢) ظ: عليهما.

(٣) ح: بَلَغ مقابله والحمد لله وحده لا ربَّ غيره، زائدة.

بيبلوغرافيا

ـ مراجع بالفرنسية:

1 - Durkheim (Emile) **Education et Sociologie,** Paris, P.U.F. 1977.

2 - Gal (Roger), **Histoire de l'Education** Paris P.U.F. 1976.

3 - Foulquie (paul), **Dictionnaire de la langue pédagogique, Paris** P.U.F. 1971.

4 - Lafont (Robert), **Vocabulaire de psychopédagogie et de psychiatrie de l'enfant,** Paris P.U.F.

5 - Medici (Angela) **L'Education nouvelle,** Paris, P.U.F, 1972.

6 - Mollo, **L'Ecole dans la Société,** Paris, Dunod, 1970.

7 - Reboul, **La philosophie de l'Education,** Paris, P.U.F. 1970.

8 - Thomas (Raymond), **L'Education physique,** Paris, P.U.F. 1970.

9 - Van Quang (Jean-Pierre), **Sciences et techniques de l'education,** Paris, Casterman, 1974.

ـ مراجع عامة:

١ ـ ابن الجزار القيرواني (القرن الرابع الهجري)، **سياسة الصبيان وتدبيرهم**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر.

٢ ـ ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت. (تصوير لطبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٥٣).

٣ ـ ابن خلدون (عبدالرحمن) المقدمة. . .، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط ٥، د. ت.

٤ ـ ابن سحنون، (محمد. . .)، آداب المعلمين. نشرة الأشواني، في: «التربية في الإسلام»، ص ٣٥٣ ـ ٣٦٨. نشرة حسن حسني عبدالوهاب، تونس، ١٣٤٨/١٩٢٩.

٥ ـ ابن سينا (أبو علي الحسين. . .)، رسالة في السياسة، طبعة الأب لويس شيخو، بيروت، ١٩١١. وطبعات أخرى منها تحقيقنا لها في رسالة ماجستير بإشراف الأب د. جبر، ١٩٧٤.

٦ ـ ابن طفيل، حي بن يقظان، نشرة فاروق سعد، بيروت، دار الافاق، ١٩٧٤.

٧ ـ ابن عبدالبر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله، المدينة المنورة، د. ت، جزءان.

٨ ـ ابن عرضون (أحمد. . .)، مقنع المحتاج في آداب الزواج. في: مجلة العربي (الكويت، آب، ١٩٧٩)، ص: ١٠٨ ـ ١١٢.

٩ ـ ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير رسالة الصحابة، تحقيق يوسف أبو حلقة، بيروت، مكتبة البيان، ط ٢، ١٩٦٠.
الأدب الوجيز للولد الصغير، تحقيق وتعريب محمد غفراني الخراساني، القاهرة، عالم الكتب، ١٣٤١ هـ.ش.

١٠ ـ ابن يحيى (عبدالحميد. . .)، في: محمد كرد علي، رسائل البلغاء، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٣، ١٩٤٦.

١١ ـ إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء، ٤ ج، تحقيق خير الدين الزركلي، القاهرة، ١٩٢٨.

١٢ ـ الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، مطبعة الخانجي، ط ٢، ١٩٦٠. أيضاً: بيروت، دار الفكر للمجتمع، ١٩٦٨.

١٣ ـ الزرنوجي، **تعليم المتعلم طريق التعلم**. استانبول، ١٢٩٢/١٨٧٥. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.. انظر: الطوسي.

١٤ ـ السبكي (عبدالوهاب...)، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق محمد علي النجار وأبو زيد الشلبي ومحمد أبو العيون، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٤٨.

١٥ ـ السمعاني، (عبدالكريم...)، **أدب الإملاء والاستملاء**، تحقيق ماكس ويس ويلر، ليدن بريل، ١٩٥٢.

١٦ ـ الطوسي (نصير الدين...)، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق يحيى الخشاب، في: مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ج ٣، ج ٢، (١٩٥٧، ص ٢٦٧ ـ ٢٨٤). انظر: الزرنوجي.

١٧ ـ العلموي (عبدالباسط بن موسى بن محمد العلموي)، **أدب المفيد والمستفيد**، نشره أحمد عبيد، دمشق، المكتبة العربية، ١٣٤٩/١٩٣٠.

١٨ ـ الغزالي (أبو حامد...)، **أيها الولد**، بيروت، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، ١٩٥١، إحياء علوم الدين، القاهرة، كتاب الشعب، دار الشعب، ٤ ج، د. ت. ميزان العمل، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤.

١٩ ـ الفارابي، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق البير نادر، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٩.

ـ رسالة السياسة، نشره الأب لويس شيخو، في: المشرق: السنة الرابعة، ١٩٠١.

٢٠ ـ القابسي (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعروف بالقابسي)، **الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين** نشره: أحمد فؤاد

الأهواني، في: «التربية في الإسلام»، ص ٢٦٨ ـ ٣٤٩.

٢١ ـ الكندي (يعقوب بن إسحاق...)، **رسائل الكندي الفلسفية**، تحقيق محمد عبدالهادي أبو ريده، جزءان، القاهرة، ١٩٥٠.

ـ **رسالة في السيوف وأجناسها**، تحقيق عبدالرحمن زكي، مجلة كلية الأداب، جامعة القاهرة، ١٩٥١.

٢٢ ـ مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب...)، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، مقدمة حسن تميم، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط ٢ ١٣٩٨/١٩٧٨.

مراجع عامة متعلقة بالفكر العربي الإسلامي:

١ ـ ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، بيروت، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥.

٢ ـ ابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة ١٩٦٥.

٣ ـ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، ١٠ أجزاء، بيروت، دار الثقافة.

٤ ـ ابن النديم، **الفهرست**، طبعة رضا تجدد، طهران، ط ١، ١٩٧١.

٥ ـ القفطي، **تاريخ الحكماء**، تحقيق ليبرت، ١٩٠٣. تصوير مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.

٣ ـ مصادر:

١ ـ الأبراشي (محمد عطية...)، **التربية الإسلامية وفلاسفتها**، القاهرة، دار عيسى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٩.

٢ ـ الأهواني (أحمد فؤاد...)، **التربية في الإسلام**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨.

٣ - زيعور (علي. . .)، **الدراسة بالعيّنة للتربويّات في الذات العربية الإدابة والتعليم عند السمعاني**. مجلة «الباحث» باريس، ١٩٨٠، ص ٤٣ - ٧٠.

٤ - شلبي (أحمد. . .)، **تاريخ التربية الإسلامية**، بيروت، دار الكشاف، ١٩٤٥.

٥ - الشيباني (عمر محمد التومي. . .)، **من أسس التربية الإسلامية**، ليبيا منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٩٧٩.

٦ - شهلا (محمد. . .)، **منهج التربية الإسلامية**، دمشق، دار دمشق، ط ٢ د. ت.

٧ - طوطح (خليل. . .)، **التربية عند العرب**، القدس، المطبعة التجارية، د. ت.

٨ - طلس (أسعد. . .)، **التربية والتعليم في الإسلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٧.

٩ - طيباوي (عبداللطيف. . .)، **محاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، بيروت، ط ٢، دار الأندلس، ١٩٧٩.

١٠ - عاقل (فاخر. . .)، **التربية قديمها وحديثها**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤.

١١ - مرسي (أحمد سعيد. . .) **تطور الفكر التربوي**، القاهرة، عالم الكتب، ط ٣، ١٩٧٥.

ــ **تاريخ التربية والتعليم**، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤.

١٢ - عبدالدائم (عبدالله. . .)، **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٣.

١٣ - فياض (عبدالله. . .)، **تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي**، بغداد، مطبعة أسعد. ١٩٧٣.

١٤ ـ ناصر (محمد. . .)، **قراءات في الفكر التربوي**، ج ٣، الكويت، وكالة المطبوعات، ط ٢، ١٩٧٧.

١٥ ـ سليمان (فتحية حسن. . .)، **مذاهب في التربية ـ بحث في المذهب التربوي عند ابن خلدون**، القاهرة، ومكتبة النهضة، ١٩٥٧.

ـــ مذاهب في التربية ـ بحث في المذهب التربوي عند الغزالي، القاهرة، مكتبة النهضة.

٤ ـ في التربية العامة:

١ ـ أوبير (رونيه. . .)، **الجامع في التربية العامة**، ترجمة عبدالله عبدالدائم، دمشق، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٦١.

٢ ـ بالماد (غي. . .)، **مناهج التربية**، ترجمة جوزف عبود كبة، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٧٠.

٣ ـ الجندي (أنور. . .)، **التربية وبناء الأجيال**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٥.

٤ ـ الخوري (إنطوان م. . .)، **أعلام التربية**، حياتهم وآثارهم، بيروت، دار الكتاب اللبناني ـ الكتاب المصري، ١٩٦٤.

٥ ـ ديوي (جون. . .)، **المدرسة والمجتمع**، ترجمة أحمد حسن الرحيم، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط ٢، ١٩٧٨.

٦ ـ رسل (برتراند. . .)، **التربية والنظام الاجتماعي**، ترجمة سمير عبده، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط ٢، ١٩٧٨.

ـــ في الرتبية، ترجمة سمير عبده، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤.

٧ ـ ريبول (أوليفيه.)، **فلسفة التربية**، ترجمة جهاد نعمان، بيروت، منشورات عويدات، ط ١، ١٩٧٨.

٨ ـ شمس الدين (عبدالأمير)، **موسوعة التربية والتعليم الإسلامية**، صدر منها:

الفكر التربوي عند زين الدين بن أحمد ـ ابن جماعة ـ السمعاني ـ ابن سحنون والقابسي ـ ابن خلدون ـ ابن طفيل ـ الغزالي ـ ابن سينا ـ اخوان الصفاء ـ الجاحظ وابن المقفع.

٩ ـ الشوبكي (علي. . .)، **المدرسة والتربية وإدارة الصفوف**، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٧.

١٠ ـ صليبا (جميل. . .)، **مستقبل التربية في العالم العربي**، بيروت، منشورات عويدات، ط ٢، ١٩٦٧.

١١ ـ عبدالدائم (عبدالله. . .)، **التربية القومية**، بيروت، دار الاداب، ١٩٦٠.
ـ **التخطيط التربوي**، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٧٢.
ـ **المدخل إلى التربية التجريبية**، دمشق مطبعة الجامعة السورية، ط ٢، ١٩٥٧.

١٢ ـ حسين (عبدالله. . .)، **التعليم العربي والجامعي، القاهرة**، مطبعة التوفيق، ١٩٤٥.

١٣ ـ عبدالمجيد (عبدالعزيز. . .)، **في طرق التدريس** ـ القصة في التربية. . . القاهرة، دار المعارف، ط ٦، ١٩٧٣.

١٤ ـ عبدالعزيز (صالح. . .) **التربية وطرق التدريس**، ٣ أجزاء، القاهرة، دار المعارف، طبعات عديدة، ١٩٧٦.

١٥ ـ عطية (نعيم. . .)، **التقييم التربوي الهادف**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٧٠.

١٦ ـ غالب (حنا. . .)، **مواد وطرائق التعليم في التربية المتجددة**، بيروت، دار الكتاب اللبناني ط ٢ ـ ١٩٧٠.

١٧ ـ فايد (عبدالحميد. . .)، **رائد التربية العامة**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط ٢، ١٩٧٠.

١٨ ـ الفنيش (أحمد علي. . .) وزيدان (محمد مصطفى. . .)، **التوجيه الفني التربوي**، ليبيا، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلانات، ١٩٧٦.

١٩ ـ مديسي (أنجيلا . . .)، **التربية الحديثة**، ترجمة علي شاهين، بيروت منشورات عويدات، ط ٢، ١٩٧٧.
٢٠ ـ ميالاريه (غاستون . . .)، **مدخل إلى التربية**، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، ١٩٧٤.
٢١ ـ ياسين (محمد حسين آل . . .)، **المبادىء الأساسية في طرق التدريس العامة**، منشورات مكتبة النهضة في بغداد وبيروت، دار القلم، ١٩٧٤.

٥ ـ في علم النفس وعلم النفس التربوي:

١ ـ رزوق (أسعد . . .)، **موسوعة علم النفس**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧.
٢ ـ روكلن (موريس . . .)، **تاريخ علم النفس**، ترجمة علي زيعور، بيروت، دار الأندلس، ط ٤، ١٩٨٢ (فصلا علم النفس التربوي وعلم نفس الولد).
٣ ـ زيعور (علي . . .)، **مذاهب علم النفس**، بيروت، دار الأندلس، ط ٤، ١٩٨٢.
٤ ـ صالح (أحمد زكي . . .)، **علم النفس التربوي**، القاهرة، مكتبة النهضة، ط ١٠، ١٩٧٢.
٥ ـ عاقل (فاخر . . .)، **مدارس علم النفس**، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٧٧.
٦ ـ القوصي (عبدالعزيز . . .)، **أسس الصحة النفسية**، القاهرة، مكتب النهضة، ط ٤، ١٩٥٢.

٦ ـ مجلات ودوريات:

١ ـ **الأبحاث التربوية**، إصدار كلية التربية في الجامعة اللبنانية، ١٩٧٥ وما بعد.
٢ ـ **التربية الجديدة**، مكتب اليونسكو للتربية في البلاد العربية، توزيع المكتبة الشرقية، بيروت، ك الأول، ١٩٧٥ وما بعد.
٣ ـ **صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية**، أعداد متفرقة.
٤ ـ **المجلة التربوية**، إصدار المركز التربوي للبحوث والإنماء، بيروت، ١٩٧٥ وما بعد.

٧ ـ أطروحات ومحاضرات جامعية:

١ ـ بيطار (صبحي. . .)، **التربية والتعليم عند ابن سينا**، كلية التربية بالجامعة اللبنانية، ١٩٧٧.

٢ ـ رعد (ماجد. . .)، **الرياضة والفكر العربي عند العرب**، كلية الآداب بالجامعة اللبنانية، ١٩٧٨.

٣ ـ زيعور (علي. . .)، **القطاع الإجتماعي في الفلسفة العربية الإسلامية**، محاضرات للماجستير في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية، ١٩٧٧.

٤ ـ **التربويات وعلم نفس الولد في الذات العربية**، المصدر عينه، ١٩٨٢.

الفهرس